جامعة قطر

كليَّة الشريعة والدِّراسات الإسلاميَّة

التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها

من سورة النور إلى سورة ق

إعداد

مريم سعد عبدالرحمن آل سعد الكواري

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلَّبات

كليَّة الشريعة والدِّراسات الإسلاميَّة

للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

يناير 2023م/1444هـ

©2023م. مريم سعد عبدالرحمن آل سعد الكواري

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدَّمة من الطالبة مريم سعد عبدالرحمن آل سعد الكواري بتاريخ /2023/01م، وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاءَ اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قَبول رسالة الطالبة المذكور اسمُها أعلاه، وحسب معلومات اللَّجنة فإن هذه الرسالةَ تتوافق مع متطلَّبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالبة.

الأستاذ الدكتور/ رمضان خميس

مشرف

الأستاذ الدكتور/ محمد المجالي

مناقش

الأستاذ الدكتور/ عبدالحميد الشيش

مناقش

تمَّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كليَّة الشريعة والدِّراسات الإسلاميَّة.

المُلخَّص

مريم سعد عبدالرحمن آل سعد الكواري، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن:

يناير 2023م.

العنوان: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، من سورة النور إلى سورة ق

المشرف على الرسالة: الأستاذ الدكتور رمضان خميس.

اهتمت هذه الدراسة بعلم المناسبات القرآنية بين خواتم السورة السابقة، وبدايات السورة اللاحقة، حيث قَدَّمَت تعريفًا بالسور، ثم عرضت أقوال المفسرين في التناسب بين الختام والبدء، وأعطت تحليلاً لهذه الأقوال من حيث الاتفاق أو الاختلاف بين المفسرين، وبعدها حكمت على هذه الأقوال، كما استنطقت الآيات بوجوه جديدة في التناسب.

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، تناول الفصل الأول: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة النور إلى سورة السجدة، أما الفصل الثاني فعرض التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الأحزاب إلى سورة فصلت، والفصل الثالث التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الشورى إلى سورة ق، وخُتمت بأهم النتائج والتوصيات. وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

وخلصت الدراسة إلى أن الدارس لأقوال المفسرين في التناسب بين البدء والختام يجد اتفاقاً واختلافاً بين القدامى والمُحْدَثين في اختيار كثير من المناسبات، وهذه الأقوال تؤكد أن الآية الواحدة قد تتعدد أوجه مناسباتها، لتعطي أكثر من معنى، وكثير من السور تتفق في ختامها مع بدايات الأخرى في قضايا مشتركة، كالعقيدة، والحديث عن القرآن الكريم، ودعوة النبي ﷺ، وغيرها من القضايا المهمة، التي تضمنتها السور.

ABSTRACT

Title: Consistency between the beginning of Surahs and the ends of the previous ones, from Surah An-Nur to Surah Qaf

This study focused on the science of Quranic consistency between the beginning of Surahs and the ends of the previous ones, includes the definitions of Surahs, then presents the statements of scholars of interpretation about the consistency between the ends and the starts of Surah. It also gave an analysis of these statements in terms of agreement and contradiction between interpreters then judged their statements. It also added new aspects of Quranic consistency between Surahs.

This study contains: introduction, three chapters and conclusion.

Chapter one includes: consistency between the beginning of Surahs and the ends of the previous ones, from Surah An-Nur to Surah As-Sajdah.

Chapter two includes: consistency between the beginning of Surahs and the ends of the previous ones, from Surah Al-Ahzab to Surah Fussilat.

Chapter three includes: consistency between the beginning of Surahs and the ends of the previous ones, from Surah Ash-Shura to Surah Qaf.

The study ended by conclusions, recommendations. It followed the analytical descriptive methodology.

The study concluded that the student who studies the statements of Quran interpreters in consistency between Surahs can detect the agreement between the ancient and late scholars. These statements confirm that a single verse may have multiple aspects of consistency, giving more than one meaning. And the ends of many Surahs are in line with the starts of others in common issues, such as creed, talk of the Holy Quran, the prophet Muhammad's message, and other important issues, which are included obviously or inherently in Surahs.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، على آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإني أحمد الله تعالى، الذي بنعمته تتم الصالحات، حيث تفضَّل عليَّ بإتمام هذا العمل، فله الشكر وهو للشكر أهل ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف:5].

وأقدم شكري لوالديَّ، اللذين كان لهما الفضل بعد الله تعالى في حبي للعلم.. أسألُ الله تعالى أن يبارك في عمر والدتي، وأن يختم بالصالحات أعمالها، وأن يرحم والدي رحمةً وَاسعةً، وأنْ يرفعَه في أَعلَى عِلّيِّين.

والشكر موصول إلى زوجي الفاضل، فقد كان خير معين لي بعد الله تعالى في النصح والتوجيه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأخص بالشكر الجزيل فضيلة الأستاذ الدكتور/ رمضان خميس أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، حيث أُقدِّم له خالص تقديري وعميق امتناني لقبوله الإشراف العلمي على هذه الرسالة، وعلى توجيهاته السديدة، وإرشاداته الرشيدة، فأسأل الله تعالى أن يبارك في عمره وفي علمه، وأن يمتعه بموفور الصحة وتمام العافية.

كما أتقدم إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام بوافر التقدير على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، وأسأل الله تعالى أن يجعل عملهم في ميزان الحسنات.

والشكر موصول لعميد كلية الشريعة فضيلة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الله الأنصاري

ولا أنسى أساتذتي ومشايخي في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية..، لما لهم عليّ من فضل، فجزاهم الله جميعا عني خير الجزاء وأوفاه.

وفي الختام أقدم شكري لجميع أفراد أسرتي، وصديقاتي، وأخصُّ من بينهم، صديقتي العزيزة فردانه، أسألُ الله تعالى أن يحفظهم، وأنْ يبارك فيهم.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... **هـ**

المقدِّمة..... **1**

الفصل الأول: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة النور إلى سورة السجدة **13**

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النور وخاتمة سورة المؤمنون 13

المطلب الأول: التعريف بسورة النور : 14

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة النور وخاتمة سورة المؤمنون ودراستها. 15

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفرقان مع خاتمة سورة النور 18

المطلب الأول: التعريف بسورة الفرقان 19

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الفرقان وخاتمة سورة النور ودراستها. 20

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشعراء وخاتمة سورة الفرقان.....24

المطلب الأول: التعريف بسورة الشعراء 25

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الشعراء وخاتمة سورة الفرقان ودراستها 26

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النمل وخاتمة سورة الشعراء 31

المطلب الأول: التعريف بسورة النمل. 32

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة النمل وخاتمة سورة الشعراء ودراستها. 32

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة القصص وخاتمة سورة النمل. 37

المطلب الأول: التعريف بسورة القصص. 38

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة القصص وخاتمة سورة النمل ودراستها: 39

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العنكبوت وخاتمة سورة القصص.....42

المطلب الأول: التعريف بسورة العنكبوت: 43

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة وخاتمة سورة ودراستها: .44

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الروم وخاتمة سورة العنكبوت 47

المطلب الأول: التعريف بسورة الروم. 48

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الروم وخاتمة سورة العنكبوت ودراستها. 49

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة لقمان وخاتمة سورة الروم 53

المطلب الأول: التعريف بسورة لقمان 54

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة لقمان وخاتمة سورة الروم ودراستها: 54

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة السجدة وخاتمة سورة لقمان. 60

المطلب الأول: التعريف بسورة السجدة 61

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة السجدة وخاتمة سورة لقمان ودراستها: 62

الفصل الثاني: التناسب بين فواتح السور وخوات م ما قبلها من سورة الأحزاب إلى سورة فصلت.....66

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الأحزاب وخاتمة سورة السجدة 66

المطلب الأول: التعريف بسورة الأحزاب 67

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الأحزاب وخاتمة سورة السجدة ودراستها 67

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة سبأ وخاتمة سورة الأحزاب 72

المطلب الأول: التعريف بسورة سبأ. 73

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة سبأ وخاتمة سورة الأحزاب ودراستها. 74

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة فاطر وخاتمة سورة سبأ 77

المطلب الأول: التعريف بسورة فاطر 78

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة فاطر وخاتمة سورة سبأ ودراستها. 79

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة يس وخاتمة سورة فاطر 82

المطلب الأول: التعريف بسورة يس 83

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة يس وخاتمة سورة فاطر ودراستها.

.....83

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الصافات وخاتمة سورة يس 87

المطلب الأول: التعريف بسورة الصافات 88

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الصافات وخاتمة سورة يس ودراستها. 89

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة ص وخاتمة سورة الصافات 93

المطلب الأول: التعريف بسورة ص: 94

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة ص وخاتمة سورة الصافات ودراستها. 95

المطلب الأول: التعريف بسورة الزمر: 99

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الزمر وخاتمة سورة ص ودراستها.

.....100

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة غافر وخاتمة سورة الزمر 104

المطلب الأول: التعريف بسورة غافر: 105

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة غافر، وخاتمة سورة الزمر ودراستها. 106

المطلب الأول: التعريف بسورة فصلت: 110

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة فصلت وخاتمة سورة غافر ودراستها. 110

الفصل الثالث: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الشورى إلى سورة ق 114

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشورى وخاتمة سورة فصلت 114

المطلب الأول: التعريف بسورة الشورى: 115

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة (الشورى)، وخاتمة سورة (فصلت) ودراستها. 116

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الزخرف وخاتمة سورة الشورى 119

المطلب الأول: التعريف بسورة الزخرف: 120

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الزخرف، وخاتمة سورة الشورى ودراستها. 121

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الدخان وخاتمة سورة الزخرف 124

المطلب الأول: التعريف بسورة الدخان: 125

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الدخان، وخاتمة سورة الزخرف ودراستها. 125

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الجاثية وخاتمة سورة الدخان: 129

المطلب الأول: التعريف بسورة الجاثية: 130

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الجاثية، وخاتمة سورة الدخان ودراستها. 131

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الأحقاف وخاتمة سورة الجاثية 134

المطلب الأول: التعريف بسورة الأحقاف: 135

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الأحقاف، وخاتمة سورة الجاثية ودراستها. 135

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة محمد وخاتمة سورة الأحقاف 139

المطلب الأول: التعريف بسورة محمد: 140

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة محمد، وخاتمة سورة الأحقاف ودراستها. 141

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفتح وخاتمة سورة محمد 145

المطلب الأول: التعريف بسورة الفتح: 146

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة (الفتح)، وخاتمة سورة (محمد) ودراستها. 146

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الحجرات وخاتمة سورة الفتح 150

المطلب الأول: التعريف بسورة الحجرات: 151

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الحجرات، وخاتمة سورة الفتح ودراستها. 151

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة (ق) وخاتمة سورة الحجرات 155

المطلب الأول: التعريف بسورة (ق): 156

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة (ق)، وخاتمة سورة (الحجرات) ودراستها. 156

الخاتمة 160

أولاً: النتائج: 160

ثانياً: التوصيات: 163

قائمة المصادر والمراجع 164

المقدّمة

الحمد لله القائل ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، [القمر :١٧]، والصلاة والسلام على خير البشر، وعلى آله وصحبه ومن أتبع الأثر، أمّا بعد:

فلقد اهتم بعض علماء التفسير بعلم المناسبات اهتماماً بالغاً، من خلال كتابات القدامى والمحدَثين، فاتجهت الأنظار إلى روعة الترابط بين آيات القرآن الكريم داخل سياج السورة الواحدة، وبين مضامين السور، وبين أوائل السور وخواتمها، وبين أوائل السور وختام ما قبلها، مما أظهر جمال النظم القرآني، ومتانة أسلوبه، ودقة عباراته، وروعة بيانه.

والتناسب بهذا الطرح له فائدة جليلة، وهي تقوية ارتباط الجمل والعبارات الواردة في القرآن الكريم، ليأخذ بعضها بعنق بعض على وجه الإحكام.

وقد اهتمت هذه الدراسة بالتناسب بين مفتتح السورة وخاتمة ما قبلها، حيث عرضت أقوال المفسرين سلفاً وخلفاً في هذا الجانب، ثم مناقشتها ومقارنتها، وصولاً إلى أوجه ترابط تتفق مع روح النص القرآني.

ولا شك أن تقرير المناسبات بين السور لا بد أن يقوم على قرائن وأدلة تؤيد وجه المناسبة، أما التكلُّف في استخراج وجوه المناسبات، فهو أمر مرفوض؛ لذا تقوم فكرة هذه الدراسة على جمع أقوال المفسرين في التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، من سورة (النور) إلى سورة (ق)، ومقارنتها ودراستها، ضمن مشروع بحثي قامت به جامعة قطر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، فقد تناول الأخ الفاضل أسامة الطحان وجه التناسب بين الخواتم والمفتتح من سورة الفاتحة إلى سورة المؤمنون، وكان من نصيبي دراسة التناسب من سورة النور إلى سورة (ق)، وجاء دور الأخ الفاضل إبراهيم حافظ

سيد، ليتناول أوجه التناسب من سورة الذاريات إلى سورة المرسلات، وأتم هذا المشروع الأخ الفاضل محمد علي الأبرش، حيث تناول أوجه المناسبة في جزء عم.

إشكالية الدراسة:

يمكن تحديد إشكالية الدراسة من خلال طرح جملة من الأسئلة، وهي كما يلي:

1. ما مدى اتفاق آراء المفسرين أو اختلافها في التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، من سورة (النور) إلى سورة (ق)؟
2. هل المناسبات بين الختام والمفتتح لها أهمية في توظيف المعنى المرتبط بين السورتين؟
3. إلى أي مدى وصل التناغم والتجانس بين آراء المفسرين القدامى والمحدثين في التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها؟
4. هل الآيات بين الختام والبدء تحمل أوجه تناسب جديدة ما زالت لم تكتشف بعد أم لا؟

أهمية الدراسة ودواعي الكتابة فيها:

تنبع أهمية هذه الدراسة من تعلقها بأشرف الكتب وأعظمها قدراً ومكانة على الإطلاق، وهو كتاب الله تعالى، وما يتصل به من علوم؛ لذا فإن من دواعي الكتابة فيها ما يلي:

1. أهمية وشرف علم المناسبات القرآنيَّة؛ لأنه يدفع شبهات المبطلين، بالرّبط بين معاني الآيات والسّور، واستيضاح مقاصدها، وتجلية بعض أسرار القرآن الكريم، ودحض الزعم بأنَّ آياته وسوره ليس بينها وفاق.
2. البحث عن جل الأقوال والأوجه التي ذكرها المفسرون في التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة النور إلى سورة ق، ودراستها.

3. فهم مراد الله –تعالى– في كتابه، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ، أو التأويلات المُغالى فيها.

4. بيان جوانب الإعجاز من خلال إظهار التناسق الدقيق بين سور القرآن وآياته، وإظهار المناسبات بين فواتح السور وخواتم ما قبلها.

5. استكمال مشروع برنامج التفسير وعلوم القرآن بجامعة قطر الخاص بدراسة المناسبات بين فواتح السور وخواتم ما قبلها في سور القرآن الكريم كاملاً.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التوصل لإجابات تتعلق بالإشكاليات سالفة الذكر عن طريق:

1. جمع آراء المفسرين في التناسب بين فواتح السور وخواتم السور التي قبلها من سورة (النور) إلى سورة (ق). وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينها، ودراستها دراسة نقدية.
2. إضافة أوجه جديدة في التناسب بين المفتتح والختام لم يتطرق إليها علماء التفسير.

حدود البحث:

الإطار الموضوعي الذي تدور هذه الدراسة في نطاقه، هو أقوال المفسرين في المناسبات بين خواتم وفواتح السور، من سورة (النور) إلى سورة (ق) من خلال تفاسيرهم، وكتاباتهم في هذا المجال.

الدراسات السابقة:

لا شك أن موضوع التناسب بين السور قد تناولته دراسات كثيرة، عالجت فيه كثيراً من مسائله، وذلك مثل:

1. **كتاب التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، للدكتور فاضل صالح السامرائي، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1437هـ - 2016م)، وقد اشتمل على جزأين من التناسب: الأول: التناسب بين بداية السورة ونهايتها، والثاني: التناسب بين ختام السابقة ومفتتح اللاحقة، وهو كتاب قيم في بابه، أورد فيه المؤلف أقوال المفسرين في التناسب، وأحياناً يورد الآيات دون الإشارة إلى وجه التناسب.

وقد تميزت دراستي عن كتاب الدكتور السامرائي باستقصاء آراء المفسرين في التناسب بين المفتتح والختام، بينما اعتمد على بعض قدامى المفسرين فقط، دون المحدثين منهم، ولم يحلل آراء القدامى، أو يذكر أوجه الاتفاق والاختلاف بينها.

2. كتاب **المختارات من المناسبات بين السور والآيات**، لابتسام عمر العمودي. (الرياض: مركز تدبر للدراسات والاستشارات، ط1، 1436هـ-2015م)، وهو كتاب قيم ذكرت فيه المؤلفة عدة مناسبات في كل سورة، كالمناسبة بين بداية السورة وختام ما قبلها، والمناسبة بين بداية السورة وخاتمتها، والمناسبة بين طائفة من الآيات داخل السورة، وقد جمعته المؤلفة كما ذكرت في مقدمة الكتاب من عشرة كتب، مما يعني أنها تعاملت مع التناسب بانتقائية، فلم تعرض جميع الأقوال التي قيلت في المناسبة، وقد تميزت دراستي عن هذا الكتاب بالاقتصار على وجه واحد من أوجه المناسبات وهو التناسب بين ختام السابقة ومفتتح اللاحقة، حيث اشتملت على كثير

من أقوال المفسرين من مختلف التفاسير مع تحليلها، كما تختلف عنها في أوجه جديدة في التناسب.

3. كتاب **البينات في علم المناسبات**، لفايز السريح، (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1، 1442هـ، 2021م)، وهو كتاب ماتع قدّمه صاحبه بتعريف علم المناسبات، وطوَّف حول موضوعه ونشأته، وأهميته وفوائده، وأنواعه وأهم المؤلفات فيه، ثم أتبع ذلك أقوال العلماء في المناسبات التي شملت المختتم والمفتتح دون تعليق من المؤلف، وكذلك اشتملت على المناسبة بين أول السورة وخاتمتها، ولم يضف جديداً على أقوال المفسرين في التناسب، بيد أن رسالتي مقتصره على لون واحد من ألوان التناسب وهو الختام مع البدء، وتضيف أوجه أقوال المفسرين بعد تحليلها.

4. **المناسبات في القرآن الكريم من تفسير الإمام السعدي في الجزء الثاني عشر من القرآن**، لتسنيم أبو بكر سعيد الشوربجي، وهي رسالة ماجستير من كلية الدراسات الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية (1441هـ – 2019م)، ورغم أنها ضمن إطار التناسب، إلا أن التباين مع رسالتي يظهر من خلال العنوان، حيث يناقش جزءً واحداً من القرآن الكريم، وهو الجزء الثاني عشر، أما رسالتي، فتناقش التناسب من سورة النور إلى سورة ق، وهو ما يقرب من تسعة أجزاء، وهذه تبحث عن التناسب بين الآيات من خلال مفسر واحد، أما رسالتي فتبحث عن التناسب بين ختام السور وبداياتها من خلال مجموعة من المفسرين.

5. **التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الفاتحة إلى سورة المؤمنون**، لأسامة الطحان، وهي رسالة ماجستير بكلية الشريعة جامعة قطر 2020.

6. **التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها دراسة مقارنة من سورة الذاريات إلى سورة المرسلات**، لإبراهيم حافظ سيد أحمد رسالة ماجستير بكلية الشريعة بجامعة قطر 2020.

7. **التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها دراسة مقارنة في جزء عم**، لمحمد علي عبد المنعم الأبرش، وهي رسالة ماجستير بكلية الشريعة جامعة قطر 2020.

ويبدو من عناوين هذه الأطروحات وجه التباين بينها وبين رسالتي، من خلال الحدود الدراسية، حيث لم يتطرق أحدهم لدراسة التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها، دراسة مقارنة من سورة (النور) إلى سورة (ق)، لأنها حلقات مكملة لسلسلة المشروع البحثي مع هذه الرسالة.

منهج البحث:

لقد تطلبت الدراسة عدم الاكتفاء بمنهج واحد من مناهج البحث العلمي، بل اقتضى الأمر استخدام مجموعة متكاملة من المناهج؛ حتى يمكن الوصول إلى النتائج الصحيحة، ومن هذه المناهج:

1. المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء وتتبع الآيات القرآنية من سورة النور إلى سورة ق واستخراج أوجه المناسبات منها.
2. المنهج التّحليلي: حيث تحتاج طبيعة البحث بعد جمع آراء المفسرين في المناسبات بين فواتح وخواتم السور إلى تحليل هذه الأقوال، ودراستها ليتسنى الحكم عليها.
3. المنهج النقدي: وقد استخدمته في توجيه النقد لبعض آراء المفسرين.

منهج الباحث في ذكر المناسبات:

1. استندت في البحث إلى أن ترتيب السور القرآنية توقيفي لا اجتهادي.

2. لم أتطرق إلى تعريف علم المناسبات وأهميته؛ لأن هذه الدراسة تقع ضمن المشروع البحثي، وقد سبقني إلى هذا بعض الباحثين، فأردت عدم التكرار.

3. قدمت بين يدي السورة تعريفًا مختصراً، كما ذكرت مقصود السورة بطريقة موجزة.

4. ذكرت أقوال المفسرين في التناسب بين خواتم وفواتح السور في الجزء المخصص من البحث.

5. ذكرت من المناسبة ما تعلق بفاتحة السورة مع خاتمة ما قبلها فقط، دون ما كان من المناسبات بين فاتحة السورة ومقصود ما قبلها، أو آيات غير خاتمة ما قبلها، وكذلك لم أذكر من المناسبات ما تعلق بخاتمة السورة مع مقصود ما بعدها، أو آيات دون فاتحة ما بعدها.

6. راعيت في جمع وترتيب المناسبات أن تكون حسب الترتيب الزمني للمفسرين من الأقدم إلى الأحدث، ما لم يتعارض مع المعنى.

7. قمت بدراسة أقوال المفسرين، مبينةَ ما كان بينها من اتفاق واختلاف، ونقد ما لم يكن مناسباً في موضعه.

8. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع بيان اسم السورة ورقم الآية.

9. ذكرت ما ظهر لي من وجوه في المناسبة مما لم يذكره المفسرون من قبل.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة فصول يتضمن كل فصل سبعة مباحث، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات:

المقدمة: فيها التعريف بموضوع البحث، وإشكاليته، وأهميته، وأهدافه، وفرضياته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وهيكله.

الفصل الأول: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة النور إلى سورة السجدة.

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النور وخاتمة سورة المؤمنون.

المطلب الأول: التعريف بسورة النور.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة النور وخاتمة المؤمنون ودراستها

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفرقان مع خاتمة سورة النور.

المطلب الأول: التعريف بسورة الفرقان.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الفرقان وخاتمة النور ودراستها.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشعراء وخاتمة سورة الفرقان.

المطلب الأول: التعريف بسورة الشعراء.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الشعراء وخاتمة الفرقان ودراستها.

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النمل وخاتمة سورة الشعراء.

المطلب الأول: التعريف بسورة النمل.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة النمل وخاتمة الشعراء ودراستها.

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة القصص وخاتمة سورة النمل.

المطلب الأول: التعريف بسورة القصص.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة القصص وخاتمة النمل ودراستها.

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العنكبوت وخاتمة سورة القصص.

المطلب الأول: التعريف بسورة العنكبوت.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة العنكبوت وخاتمة القصص ودراستها.

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الروم وخاتمة سورة العنكبوت.

المطلب الأول: التعريف بسورة الروم.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الروم وخاتمة سورة ودراستها.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة لقمان وخاتمة سورة الروم.

المطلب الأول: التعريف بسورة لقمان.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة لقمان وخاتمة الروم ودراستها.

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة السجدة وخاتمة سورة لقمان.

المطلب الأول: التعريف بسورة السجدة.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة السجدة وخاتمة لقمان ودراستها.

الفصل الثاني: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الأحزاب إلى سورة فصلت.

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الأحزاب وخاتمة سورة السجدة.

المطلب الأول: التعريف بسورة الأحزاب.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الأحزاب وخاتمة السجدة ودراستها.

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة سبأ وخاتمة سورة الأحزاب .

المطلب الأول: التعريف بسورة سبأ.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سبأ وخاتمة الأحزاب ودراستها.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة فاطر وخاتمة سورة سبأ.

المطلب الأول: التعريف بسورة فاطر.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة فاطر وخاتمة سبأ ودراستها.

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة يس وخاتمة سورة فاطر.

المطلب الأول: التعريف بسورة يس.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة يس وخاتمة فاطر ودراستها.

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الصافات وخاتمة سورة يس.

المطلب الأول: التعريف بسورة الصافات.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الصافات وخاتمة يس ودراستها.

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة ص وخاتمة سورة الصافات.

المطلب الأول: التعريف بسورة ص.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة ص وخاتمة الصافات ودراستها.

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الزمر وخاتمة سورة ص.

المطلب الأول: التعريف بسورة الزمر.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الزمر وخاتمة ص ودراستها.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة غافر وخاتمة سورة الزمر.

المطلب الأول: التعريف بسورة غافر.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة غافر وخاتمة الزمر ودراستها.

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة فصلت وخاتمة سورة غافر.

المطلب الأول: التعريف بسورة فصلت.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة فصلت وخاتمة غافر ودراستها.

الفصل الثالث: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الشورى إلى سورة ق.

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشورى وخاتمة سورة فصلت.

المطلب الأول: التعريف بسورة الشورى.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الشورى وخاتمة فصلت ودراستها.

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الزخرف مع خاتمة سورة الشورى.

المطلب الأول: التعريف بسورة الزخرف.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الزخرف مع سورة الشورى ودراستها.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الدخان وخاتمة سورة الزخرف.

المطلب الأول: التعريف بسورة الدخان.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الدخان وخاتمة الزخرف ودراستها.

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الجاثية وخاتمة سورة الدخان.

المطلب الأول: التعريف بسورة الجاثية.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الجاثية وخاتمة الدخان ودراستها.

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الأحقاف وخاتمة سورة الجاثية.

المطلب الأول: التعريف بسورة الأحقاف.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الأحقاف وخاتمة الجاثية ودراستها.

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة محمد وخاتمة سورة الأحقاف.

المطلب الأول: التعريف بسورة محمد.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة محمد وخاتمة الأحقاف ودراستها.

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفتح وخاتمة سورة محمد.

المطلب الأول: التعريف بسورة الفتح.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الفتح وخاتمة محمد ودراستها.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الحجرات وخاتمة سورة الفتح.

المطلب الأول: التعريف بسورة الحجرات.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة الحجرات وخاتمة الفتح ودراستها.

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة ق وخاتمة سورة الحجرات.

المطلب الأول: التعريف بسورة ق.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة ق وخاتمة الحجرات ودراستها.

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها

من سورة النور إلى سورة السجدة

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النور وخاتمة سورة المؤمنون

خاتمة سورة المؤمنون:

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ* فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ* وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ* وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون:115-118].

فاتحة سورة النور:

قال الله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ* ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ* وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ* إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور:1-5].

المطلب الأول: التعريف بسورة النور:

سورة النور هي السورة المائة في ترتيب نزولها، حيث نزلت بعد سورة النصر، وقبل سورة الحج،[1]، "والسّورة مدنيَّة بالاتِّفاق"[2]، ووجه تسميتها بسورة النور أمران: الأول: ورود قول الله تعالى:﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[النور :35]، فبنوره أضاءت السموات والأرض، واهتدى الحيارى والضالون إلى طريق الرشاد، والثاني: أنها تنور حياة الناس الاجتماعية، عن طريق بيان الآداب والفضائل، وتشريع الأحكام والقواعد[3]، ويظهر لي إضافة على هذين الوجهين سبباً للتسمية، وهو: تكرار ذكر النور في ثنايا السورة الكريمة، كما في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۖ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[النور :35]، وقوله تعالى:﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور :40].

مقصد سورة النور: قصدت السورة الكريمة تربية المجتمع المسلم على الالتزام بشرائع الدين، التي تضمن للأمة السلامة من تفشي الفساد، والبعد عن حرمة اختلاط الأنساب، وصونها من التردي في حمأة الإباحية والفوضى[4].

---

[1] يُنظر: ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت:1393هـ)، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، ج18، ص 139-140.

[2] يُنظر: الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي،(1416هـ-1996م) ج1، ص335.

[3] يُنظر الزحيلي: وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ)، ج18، ص118.

[4] ينظر: **المرجع السابق**، ج18، ص118، 119؛ وينظر: السريح: فايز سياف، **معالم السور**، (الدمام، 1439هـ) ص140.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة النور وخاتمة سورة المؤمنون ودراستها.

أ- ذكر الإمام النيسابوري أن الله ﷻ لما أمر رسوله ﷺ في خاتمة سورة المؤمنون بطلب المغفرة والرحمة، ولا شك أن طلبه يَستلزم الاستجابة، بدليل سَلْ تُعْطَ، أردف السورة اللاحقة بذكر ما هو أصل كل رحمة، ومنشأ كل خير فقال: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [المؤمنون:105][1].

ب- ذهب الإمام البقاعي إلى أنه لما ختم الله ﷻ سورة المؤمنون، بتبكيت المعاندين يوم الندم بقوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون:105] وبقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:115]، ثم أظهر رحمته بخلقه؛ كي يرجع منهم من قضى بسعادته، فكانت آخر كلمات السورة: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون:118]، ناسب أن يذكّر المخاطبين في مفتتح سورة النور بأنهم لم يُخلقوا سُدَى، بل لتكاليف تَعَبَّدَهم الله بها، ترفع التنازع وتحسم مادة الشر، فتوجِب لهم الرحمة، فمن قَبِلَها رحمه خير الراحمين، ومن أباها ضَلَّ ودخل في التبكيت[2]، فامتثال الأمر واجتناب النهي يستجلب رحمة الله تعالى.

---

[1] ينظر: النيسابوري: الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات (بيروت: دارالكتب العلمية، ط1، 1416هـ)، ج5، ص141.

[2] ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دارالكتاب الإسلامي)، ج13، ص200-201.

ج- ذكر الإمام الآلوسي أن الله تعالى لما ختم سورة المؤمنون "بأنه لم يخلق الخلق عبثاً، بل للأمر والنهي، ناسب أن يفتتح سورة النور بجملة من الأوامر والنواهي"[1].

د- يرى الدكتور السامرائي: أنه لما جاء في أواخر سورة المؤمنون عذاب الكافرين في الآخرة، بقول الله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ* أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون:104، 105] ناسب أن يفتتح سورة النور بذكر عقاب من يستحق العذاب من المسلمين، فقال: ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور :11].

وقال أيضاً: لما ختمت سورة المؤمنون بأنه سبحانه منزه عن العبث، ومتعالٍ عن كل ما لا يليق بذاته المقدسة، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117)﴾[المؤمنون:116،117]، ناسب أن يذكر في مفتتح سورة النور عقوبة الزنى والقذف واللعان، تأكيداً على خطورة هذه الذنوب، وتنبيهاً على أن الحدود ليست من قبيل العبث، قال في أول سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور :1،2]، فالله تعالى الذي أنزل الأحكام وفرضها، هو الذي حدَّد العقوبات وأمر بإقامة الحدود عليها[2].

---

[1] الآلوسي: محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج18، ص 74؛ و ينظر: الغماري: عبدالله محمد الصديق، **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، (مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف وسيد طه)، ص67، 68؛ وينظر: المراغي: أحمد بن مصطفى (ت:1371هـ)، **تفسير المراغي**، (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ -1946م)، ج 18، ص66؛ ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج18، ص119.

[2] ينظر: السامرائي: فاضل صالح، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم** (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1437هـ - 2016م)، ص119.

دراسة أقوال المفسرين:

المتأمل لأوجه التناسب التي ذكرها المفسرون يرى أنها تدور حول أمرين:

الأول: إظهار رحمة الله تعالى، حيث ذكرت السابقة طلب المغفرة والرحمة، فكانت اللاحقة مظهرة لأصل هذه الرحمة بنزول القرآن المتضمن أحكام الشريعة التي تحوي في طياتها رحمة الله سبحانه وتعالى، وهذا الوجه قد أجاد فيه الإمام النيسابوري، وقد تشابه مع الوجه الذي ذكره الإمام البقاعي في قضية الرحمة، إلا أن البقاعي أضاف مقارنة بين المعاندين والمؤمنين، تظهر من ما ارتبط بين الختام والبدء من الأوامر والنواهي وتفصيلاتها، ويُعد قول الآلوسي ومن تابعه من المفسرين اختصاراً لما ذكره الإمام البقاعي.

الثاني: المصير في الآخرة، ففي المناسبة الرابعة ناقش السامرائي بعدًا مهمًّا عن مصير المستحقين للعذاب كما ذكرته السورتان، فالكفار يعذبون على كفرهم، وعصاة المسلمين يعذبون على خرقهم الأمر، وارتكابهم ما نُهوا عنه، وهو ربط بالغ الدقة.

وقد ظهر لي وجه في المناسبة:

أولاً: لما كان من يدعو من دون الله إلها آخر لا برهان معه على عبادته، ولا برهان مع المعبود على ألوهيته، كما جاء في خاتمة سورة المؤمنون في قوله: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون:117]، ناسب أن يذكر في فاتحة سورة النور أنه أنزل آيات بينات: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ [النور:1]. لأنه مستحق العبادة بحق هو من معه البراهين والدِّلالات، وله الأمر والنهي.

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفرقان مع خاتمة سورة النور

خاتمة سورة النور:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُور رَّحِيم* لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾ [سورة النور :62-64].

فاتحة سورة الفرقان:

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيك فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرا* وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَة لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّا وَلَا نَفْعا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتا وَلَا حَيَوٰة وَلَا نُشُورا* وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْما وَزُورا* وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَة وَأَصِيلاً* قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورا رَّحِيماً﴾ [سورة الفرقان:1-6].

المطلب الأول: التعريف بسورة الفرقان

سورة الفرقان هي "السورة الثانية والأربعون في ترتيب نزول القرآن الكريم، حيث نزلت بعد سورة يس وقبل سورة فاطر"[1]، "وهي مكية بالإجماع"[2]، بيد أن صاحب تفسير البحر المحيط نقل عن ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما أن ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[الفرقان:68]. إلى قوله ﷻ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورا رَّحِيما﴾[الفرقان:70].

والذي صح عن ابن عباس أن هذه الآيات الثلاث مكية، إذ لما سئل سعيد بن جبير: هل لمن قتل مؤمنًا متعمدًا من توبة؟ فَقُرأ عليه: ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾]الفرقان:68[، فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس؟ فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء، وقال الضحاك: هي مدنية إلا أولها إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا نُشُورًا﴾، فهو مكي.[3]

سميت هذه السورة "سورة الفرقان في عهد النبي ﷺ وبمسمع منه، ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: « سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج18، ص314.

[2] البقاعي: إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ،1987م)، ج2، ص316؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج9، ص 420.

[3] ينظر: أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، 1420هـ)، ج8، ص79. أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله:﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَاما﴾، ج6، ص110، رقم (4762)، والآية المدنية من سورة النساء يقصد بها قول الله ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء:93]

هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها»[1]، ولا يوجد لسورة الفرقان اسم غير هذا، ووجه تسميتها ذكر لفظ الفرقان فيها. [2]

مقصود سورة الفرقان:

قصدت السورة الكريمة نفي الشريك والولد عن الله تعالى، وأظهرت شرف النبيﷺ، كما بينت المنة بنزول القرآن الكريم، وتكفلت بالرد على المزاعم التي وجهت إلى الإسلام بأسلوب مفحم لكل شبهة[3].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الفرقان وخاتمة سورة النور ودراستها.

أ- ذكر الإمام أبو حيان من "أنه لما ذُكر في ختام سورة النور وجوب مبايعة المؤمنين للرسول ﷺ، وأنهم إذا كانوا معه في أمر مهم، وتوقف انفصال واحد منهم على إذنه، وحذر من يخالف أمره، وذكر أن لله ملك السماوات والأرض، وأنه تعالى عَالِمٌ بما هم عليه ومجازيهم على ذلك، فكان ذلك غاية في التحذير والإنذار، وناسب أن يفتتح هذه السورة بأنه تعالى مُنزَّه في صفاته عن النقائص، وأنه

---

[1] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كِتَاب الْخُصُومَاتِ، بَاب كَلامِ الْخُصُومِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ، ج3، ص122، رقم(2419)، وأخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، ج1، ص560، رقم (818).

[2] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج18، ص313.

[3] ينظر: الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج1، ص340؛ القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط:2، 1384هـ - 1964م)، ج13، ص1؛ وينظر: البقاعي: **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ-1987م)، ج2، ص316.

كثير الخير، ومن خيره أنه:﴿**نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ**﴾ على رسوله منذرًا لهم فكان في ذلك أطماع في خيره وتحذيره من عقابه" [1].

ب- بين الإمام السيوطي أنه قد جاء في خاتمة سورة النور الحديث عن أن الله ﷻ له ملك السماوات والأرض وما بينهما، فناسب أن يفتتح سورة الفرقان بتأكيد مظاهر التفرد والعظمة الإلهية في الملك، حيث خَلَقَ المخلوقاتِ بتقديرٍ مبني على علمه ﷻ بدقائق الأمور، وعظيم حكمته في التقدير [2].

ج- قال الشيخ المراغي أيضا: "اختتم السورة السالفة بوجوب متابعة المؤمنين للرسولﷺ مع مدحهم على ذلك وتحذيرهم من مخالفة أمره خوف الفتنة والعذاب الأليم، وافتتح هذه بمدح الرسولﷺ وإنزال الكتاب عليه لإرشادهم إلى سبيل الرشاد، وذمّ الجاحدين لنبوته"[3].

د- قال الدكتور الزحيلي: "شمل آخر سورة النور الكلام على فصل القضاء: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا﴾ [النور:64]، وافتتحت سورة الفرقان بالثناء على الله عزّ وجلّ مالك الملك، وصاحب السلطان المطلق"[4].

---

[1] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص79؛ وينظر الآلوسي، **روح المعاني**، ج9، ص420؛ ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص120.

[2] ينظر: السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب القرآن**، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، (دار الفضيلة للنشر والتوزيع)؛ وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج18، ص145؛ وينظر: الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار (ت:1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (الدمام: الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ-2014م)، ج5، ص226. وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج19، ص5، 6؛ وينظر: مصطفى مسلم ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، (الشارقة: جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1، 1431هـ،2010م)، ج5، ص266؛ ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص120.

[3] المراغي، **تفسير المراغي**، ج18، ص145.

[4] الزحيلي، **التفسير المنير**، ج19، ص6.

هـ-ذكر الشيخ الغماري أن الله تعالى قسم الناس في خواتم سورة النور إلى قسمين: أولهم: المؤمنون الذين يسلكون الأدب مع رسول الله ﷺ؛ لهذا أثنى عليهم، وثانيهم: أهل النفاق الذين تعودوا إساءة الأدب مع رسول الله ﷺ، فناسب أن يفتتح سورة الفرقان مذكرًا الجميع بفضائل ذلك العبد الذي يجب مراعاة الأدب في حضرته، وتحريم مناداته باسمه مجردًا، والتحذير من مخالفة أمره؛ لأنه عبد الله المختار، الذي خصه الله تعالى بتنزيل الفرقان، وابتعثه للعالمين[1].

دراسة أقوال المفسرين:

المتأمل في أقوال المفسرين يجد تباينًا نسبيًّا في كلامهم عن التناسب بين سورتي النور والفرقان، وهذا التباين من باب اختلاف التنوع لا التضاد، فنجد الإمامين أبا حيان والآلوسي قد ربطا بينهما من جانب تعظيم النبي ﷺ الذي أرسله مالك الملك، ووجوب اتباع ما جاء به، لتبدأ سورة الفرقان بإقرار حقيقة أن ما جاء به النبي ﷺ هو القرآن المنزل من عند الله تعالى، فوجب التحذير من مخالفة أمره.

وأكد كلٌّ من الإمام السيوطي والشيخ المراغي والدكتور الزحيلي والشيخ الشنقيطي أن بين السورتين تعظيم الذات الإلهية، فألمحوا أن بينهما إجمالا وتفصيلا، فما أجمله ﷻ في آخر سورة النور من أن له ملك السماوات والأرض، فصَّله في بدايات سورة الفرقان كلٌّ منهم على حسب استنباط وجه مناسبته.

أما الوجه الذي أتى به الشيخ المراغي، فأرى أنه متشابه مع ما ذهب إليه الإمام أبو حيان في ختام سورة النور، لكنه قد خالف الإمام في وجه التناسب الخاص بمفتتح سورة الفرقان، وقد أشار

---

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص70، 71.

الدكتور الزحيلي إلى أن خاتمة سورة النور بينت قدرة الله سبحانه في إقامة العدل بين الناس يوم القيامة، فناسب أن تفتتح سورة الفرقان بالثناء على الله القدير، وهو وجه تكرر في ثنايا المناسبات السابقة.

ووجه المناسبة عند الشيخ الغماري أن تقسيم الناس إلى مؤدب ومسيء مع النبي ﷺ كما ورد في خواتم سورة النور، جعلته يؤكد –سبحانه– التناسب في مفتتح سورة الفرقان، التي ذكرت مزايا هذا العبد، الواجب توقيره، ومراعاة الأدب معه؛ لأنه المصطفى الذي اختُصَّ بتنزيل الفرقان عليه.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

الأول: أن سورة النور خُتمت بالحديث عن إحاطة علم الله تعالى بما اقترفته الخلائق من كبير وصغير وجليل وحقير، حيث يخبرهم يوم القيامة بذلك ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور :64]، وافتُتحت سورة الفرقان ببيان كمال علمه وإحاطته، حيث كشف أباطيل عُبّاد الأوثان عن آلهتهم التي عبدوها من دون الله، وأظهر أنها لا تملك أن تخلق شيئًا، في مقابل قدرته سبحانه على الخلق، ولا تمتلك مقومات الضر والنفع لأنفسهم، أو لغيرهم، كما بين سبحانه أن المشركين عطلوا عقولهم ليقلدوا آباءهم في قوله تعالى:﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:3].

الثاني: لما ختمت سورة النور بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُور رَّحِيم﴾ [النور :62]، ناسب أن تفتتح سورة الفرقان بالتأكيد على مغفرة الله تعالى ورحمته حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورا رَّحِيماً﴾[الفرقان:3]، فدلت الآيتان على عظيم عفو الله تعالى ورحمته بعباده.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشعراء وخاتمة سورة الفرقان

خاتمة سورة الفرقان:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَاما* يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا* إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَٰلِحا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورا رَّحِيما* وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابا* وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَاما* وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّا وَعُمۡيَانا* وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُن وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا* أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّة وَسَلَٰمًا* خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّا وَمُقَاما* قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَاؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامُۢا﴾ [سورة الفرقان:68-77].

فاتحة سورة الشعراء:

قال الله تعالى: ﴿طسٓمٓ* تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ* لَعَلَّكَ بَٰخِع نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ* إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَة فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ* وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡر مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ* فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ* أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡج كَرِيمٍ* إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَة وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الشعراء:1-9].

المطلب الأول: التعريف بسورة الشعراء

سورة الشعراء هي السورة السابعة والأربعون في ترتيب النزول، حيث نزلت بعد سورة الواقعة، وقبل سورة النمل [1]، وهي مكية عند الجمهور [2]،وقال غير واحد من أهل التفسير إنها مكية، إلا قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء :197]، وقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء :224] إلى آخر السورة، فإن هذه الآيات مدنية[3].

وسميت سورة الشعراء بالجامعة، ولعل ذلك بسبب أنها"جَمعت ذكر الرسل أصحابِ الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية"[4]، أما سر تسميتها بالشعراء فلأنها السورة الوحيدة التي ذكر فيها لفظ الشعراء، بقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[الشعراء :224].

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص90.

[2] ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج13، ص87؛ وينظر: العليمي: مجير الدين بن محمد المقدسي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن** (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1430هـ- 2009م) ج5، ص47؛ ويُنظر: ابن عطية: عبد الحق بن غالب الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ) ج4، ص224.

[3] يُنظر: الفيروز آبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج1، ص344؛ الدمشقي: عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ. 1998م) ج15، ص3.

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص89.

مقصود السورة: قصدت السورة الكريمة بيان الإعجاز القرآني وأنه من عند الله تعالى[1]، كما قررت بعض القضايا العقدية، كقضية التوحيد والبعث والحساب والجزاء، والتصديق بالوحي والرسالة، والتخويف من عاقبة التكذيب[2].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الشعراء وخاتمة سورة الفرقان ودراستها

ورد في التناسب بين خاتمة سورة الفرقان فاتحة سورة الشعراء، مناسبات عدة، منها:

أ- قال الإمام الغرناطي: "لما عَرَّفت سورة الفرقان بشنيع مرتكب الكفرة المعاندين، وخُتمت بما ذُكر في الوعيد كان ذلك مظنة لإشفاقه عليه السلام، وتأسفه على فوت إيمانهم لما جُبِلَ عليه من الرحمة والإشفاق، فافتُتحت السورةُ الأخرى بتسليته ﷺ وأنه سبحانه لو شاء لأنزل عليهم آيةً تبهرهم، وتذل جبابرتهم فقال سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ* إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[الشعراء: 3-4]"[3].

ب-ما أكده الشيخ الغماري، وهو قريب من القول الأول، حيث ناقش قضية نفور الكفار وتسلية المختار ﷺ، إذ لما كان من خواتم سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[الفرقان:60]، ناسب أن يفتتح سورة الشعراء بتسلية نبيه ﷺ

---

[1] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص326.

[2] ينظر: سيد قطب: **إبراهيم حسين الشاربي** (ت:1386هـ)، **في ظلال القرآن**، (بيروت: دار الشرق، ط7، 1412هـ)، ج5، ص2583. وينظر: الطويل: أحمد بن أحمد بن محمد، **محتويات سور القرآن الكريم** (الرياض: مدار الوطن للنشر، ط1، 1434هـ -2013م)، ص196.

[3] الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، (ت:708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: محمد شعباني، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1410هـ، 1990م)، ص262.

عما لحقه من الحزن بسبب كفرهم وعنادهم، فقال: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء :3][1]، فالإشفاق والرحمة من النبي ﷺ يقابلها التسلية من الله تعالى له.

ج- قال الإمام أبو حيان: "ومناسبة أولها لآخر ما قبلها أنه قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾[الفرقان:77] ، ذكر تلهُّف رسول الله ﷺ على كونهم لم يؤمنوا، وكونهم كذبوا بالحق لما جاءهم. ولما أوعدهم في آخر السورة بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾، أوعدهم في أول هذه فقال في إثر إخباره بتكذيبهم فسوف يأتيهم ﴿أَنْبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزءونَ﴾[الشعراء :6]. وتلك إشارة إلى آيات السورة، أو آيات القرآن"[2].

د- ذكر الإمام البقاعي أن الله -تعالى- فرَّق في خواتم سورة الفرقان بين الدين الحق والمذهب الباطل، ففصَّل بين عباد الرحمن الذين مدحهم بالاستجابة لأمره، وبين عباد الشيطان الذين ذمهم بسبب تكذيبهم، بعد أن عمت رسالته جميع الخلائق، فكان ختام السورة بمثابة الإنذار الشديد للمكذبين ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾[الفرقان:77]، وكان حين نزولها لم يسلم منهم إلا القليل، فظن بعض الظانين أن عدم إسلامهم كان لنقص في بيان الحق، فجاء مفتتح سورة الشعراء ليزيل هذا الالتباس بقوله سبحانه:﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾[الشعراء :2]، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو الجامع لكل فرقان﴿الْمُبِيْنِ﴾ أي الواضح في نفسه، الفارق لكل مجتمع ملتبس بغاية البيان[3]، ويمكنني القول: إن العنوان الرئيس الذي يوضع تحته هذا الوجه هو التفرقة بين الحق والباطل.

---

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص72، 73.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص139.

[3] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج14، ص2-4

هـ – ويرى الإمام الآلوسي من وجوه الاتصال بين السورتين: أن سورة الفرقان فيها إجمالٌ فصلته سورة الشعراء، التي اشتملت في بدايتها على تسلية للنبي ﷺ[1]، وأيد الوجه الشيخ سعيد حوَّى صاحب كتاب الأساس في التفسير[2]، وكذا قال الشيخ المراغي في تفسيره[3]، والدكتور الزحيلي في التفسير المنير[4].

و – قال الدكتور السامرائي: إن الله –تعالى– ذَكَرَ عباد الرحمن وأثنى عليهم في أواخر الفرقان، حيث قال:﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰما﴾[الفرقان:63]، ناسب أن يذكر المكذبين في أوائل سورة الشعراء؛ لتكون استكمالاً للمكلفين من العباد[5].

ز – ذكر الدكتور السامرائي وجهًا آخر للمناسبة: أنه سبحانه ذَكَرَ اسمَ الرحمن في ختام الفرقان، ثم تكرر في مفتتح الشعراء بقوله: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾ [الشعراء:5]، ووجه التناسب أن الرحمن يريد الرحمة لعباده، وذلك بإنزاله الذكر عليهم[6].

دراسة أقوال المفسرين:

المتأمل في وجوه التناسب التي ذكرها علماء التفسير بين الختام والبدء بين السورتين، يجد أن الإمام الغرناطي يؤكد أن تكذيب المكذبين المنصوص عليه في ختام الفرقان، قابله إشفاق من النبيﷺ،

---

(1) الآلوسي، **روح المعاني**، ج10، ص58.

(2) ينظر: حوّى: سعيد: **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط6، 1424هـ) ج7، ص3901.

(3) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج19، ص44.

(4) ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج19، ص118، 119.

(5) ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص122.

(6) ينظر: **المرجع السابق**.

الذي تطلب تسليته والتسرية عنه في بداية الشعراء، ووافق الشيخ الغماري في هذا الوجه الإمام الغرناطي.

أما الإمام أبو حيان فقد سلّط الضوء على بيان عاقبة التكذيب الوارد في الفرقان، وربطه بالوعيد بحلول العذاب عليهم كما ورد في بدء سورة الشعراء، بينما ركز الإمام البقاعي على التناسب القائم على البيان والإيضاح لما توهمه البعض من النقص في بيان الحق، حيث أزالت سورة الشعراء هذا التوهم، وتوافقت آراء الشيخ المراغي، والشيخ سعيد حوى، والدكتور الزحيلي، مع الإمام الآلوسي في أن خواتيم الفرقان أجملت ما فصَّلته بدايات الشعراء، فيما ذكر الدكتور السامرائي أن التناسب بينهما قائم على رحمة الله تعالى بالمكلفين.

وقد ظهر لي وجه في المناسبة:

أنه تعالى لما ذكر في خواتم سورة الفرقان قوله تعالى:﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[الفرقان:59–60]، ثم ذكر من أوصاف عباد الرحمن أنهم لا يشركون معه أحداً، ولا يقتلون نفساً حرّم الله قتلها إلا بحقها، ولا يقترفون جريمة الزنا؛ لأن من يفعل ذلك حتماً سيعذبه الله تعالى لوقوعه في مخالفة الأمر، إلا أن يحدث توبة صادقة، تؤكدها أعماله الصالحة، ومن بركات هذه التوبة تبديل السيئات حسنات، ومنح التائب مغفرة ورحمة من الله سبحانه وتعالى، ناسب أن يكون في بدايات سورة الشعراء، التأكيد على هذه الرحمة، التي تشمل جميع الخلائق رغم كفر كثير منهم، حيث ذكر الله تعالى اسمه الرحمن، بقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء:5]، ومن رحمته أنه سبحانه ما حرمهم من رزقه، فقال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ* إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم

مُّؤۡمِنِينَ* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الشعراء:7 –9]، فتراه سبحانه كرر الرحمة بذكر اسم الله الرحيم، للفت الانتباه إلى شمولية رحمته بجميع خلقه.

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة النمل وخاتمة سورة الشعراء

خاتمة سورة الشعراء :

قال الله تعالى: ﴿ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ* وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ* وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ* إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ* فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ* وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ* فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ* وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ* ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ* إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ* هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ* تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ* يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ* وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ* أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ* وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ* إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء :209–227].

فاتحة سورة النمل:

قال الله تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ* هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ* ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ* إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ* أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ* وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة النمل :1–6].

المطلب الأول: التعريف بسورة النمل.

سورة النمل هي السورة الثامنة والأربعون في ترتيب النزول، حيث نزلت بعد سورة الشعراء وقبل سورة القصص[1]، وهي مكية بإجماع أهل العلم المعتبرين[2].

وسميت سورة النمل؛ لاشتمالها على قصّة نبي الله سليمان –عليه السّلام– مع النّملة، ومن أشهر أسمائِها "سورة سليمان"[3]، وقيل: إنها تسمى بسورة الهدهد، وأقام الإمام الطاهر توجيهًا لطيفًا، للأسماء الثلاثة، حيث قال: "لفظ النمل، ولفظ الهدهد لم يُذكرا في سورة من القرآن غيرها، أما تسميتها (سورة سليمان)؛ فلأن ما ذُكر فيها من مُلك سليمان مُفصَّلاً، لم يُذكر مثلُه في غيرها"[4].

مقصود سورة النمل: قصدت التأكيد على أن القرآن الكريم كتاب هداية للخلق أجمعين، وأظهرت مكانة العلم والحكمة، وبينت جوانب العقيدة: كالتوحيد والوحي، والإيمان بالغيب[5].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة النمل وخاتمة سورة الشعراء ودراستها.

ذكر المفسرون مناسباتٍ عِدَّةً بين فاتحة سورة النمل، وخاتمة سورة الشعراء، منها:

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص215.

[2] يُنظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ)، ج3، ص489؛ ويُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص248؛ ويُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص154؛ ويُنظر: الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج15، ص103.

[3] السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ –1974م) ج3، ص 194.

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص215. ولعل التسمية بسورة سليمان سببها معجزة سليمان في فهم كلام الطير والبهائم والحشرات، وإنما خص الطير لأجل سوق قصة الهدهد بعدها، ألا تراه كيف ذكر قصة النمل معها وليست من الطير؛ يُنظر: ابن العربي: أبو بكر، محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ – 2003م) ج3، ص472.

[5] يُنظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص333؛ وينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص 304.

أ- ذكر الإمام الغرناطي أن الله -تعالى- لما ذكر في آخر سورة الشعراء مكانة القرآن، الذي فضح الله به الأعداء، ورحم به الأولياء، وأعلن استحالة أن تتسور عليه الشياطين، وأوضح تميز القرآن بكونه فرقانًا قاطعًا، ونورًا ساطعًا، ناسب أن يمدحه ويثني عليه في مفتتح سورة النمل، فقال: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ* هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ النمل:[1-2]، ووصفهم بالإيمان فيه دعوة للاتباع، ويقين في حصول البركة؛ ليقوى الرجاء في النجاة [1].

ب- قال الإمام أبو حيان: "ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها واضحة؛ لأنه قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء:210]، وقبله ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:192]، وقال هنا: ﴿طَس تِلْكَ ءايَاتُ الْقُرْءانِ﴾ [النمل:1]: يعني الذي هو تنزيل رب العالمين. وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين فعلى سبيل التفخيم لها والتعظيم"[2]. وقال الدكتور السامرائي قريبا من عبارة الإمام أبي حيان[3].

ج- قال الإمام البقاعي: "لما خُتمت سورة الشعراء بتحقيق أمر القرآن، وأنه ليس من عند الرسول ﷺ، وإنما من عند ربه تعالى، ونفي أباطيلهم عنه من نسبته إلى السحر والأضغاث والافتراء والشعر، ناسب أن يبدأ سورة النمل بالإشارة إلى أنه من الكلام القديم المسموع المطهر عن كل ما رماه به المشركون، ثم زاد في وصفه بأنه إضافة إلى نظمه المجموع لفظًا ومعنى، بعيدًا عن الخلل والزلل، فهو أيضًا جامعٌ لأصول الدين، وناشرٌ لفروعه" [4].

د- ذكر الشيخ الغماري أنه لما رمى المشركون النبيَّ ﷺ بالكهانة، وأنه يتلقى القرآن من الشياطين، نفى الله ذلك في سورة الشعراء، بقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ* وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص265.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص206.

[3] ينظر: السامرائي، **التناسب بين الآيات والسور في المفتتح والخواتيم**، ص123.

[4] البقاعي، **نظم الدرر**، ج14، ص123.

يَسۡتَطِيعُونَ* إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ [الشعراء:210–212]، وقوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ* تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ* يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء:221–223]، فأثبت في مفتتح سورة النمل صفات القرآن التي تخالف الكهانة والشعر، وصرح بأنه مُتلقًّى من الله ﷻ ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ*هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ* ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[النمل:1–3]، ثم قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٖ﴾،[النمل:6]، ثم ذكر الله تعالى قصصًا حدثت في أزمان متباعدة، وأماكن متباينة للتأكيد على كون النبي ﷺ يتلقى من حكيم عليم[1].

هـ– قال الدكتور السامرائي:"ذكر تعالى في آخر سورة الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات بعد ذكر الشعراء الذين في كل واد يهيمون فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:227]، وذكر في أوائل سورة النمل المؤمنين وأعمالهم فقال: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾" [النمل:2–3][2].

و– قال الدكتور السامرائي أيضا: "هدَّد جل شأنه الذين ظلموا في آخر سورة الشعراء فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء:227]، وهدَّد غيرَ المؤمنين في أول النمل فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ [النمل:4–5] "[3].

---

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص73.

[2] السامرائي، **التناسب بين الآيات والسور في المفتتح والخواتيم**، ص123، 124.

[3] **المرجع السابق**.

دراسة أقوال المفسرين:

تنوعت أقوال المفسرين في التناسب بين سورتي الشعراء والنمل، حيث ربط الإمام الغرناطي بين الختام والبدء حول استحالة أن يكون القرآنُ من عند الشياطين؛ لكونه نورًا ساطعًا، وأتمت بدايات سورة النمل أوصاف البيان والهداية والبشارة، بل خلعت على مَن اتَّبع القرآنَ وصفَ الإيمان، وكذا أكد الشيخ الغماري.

أما الإمام أبو حيان فذكر أن الختام متناسب مع البدء في التأكيد على مصدرية القرآن الكريم، وأنه من عند الله تعالى، ومن هنا اكتسب مكانة عظيمة.

ويرى الإمام البقاعي في وجه التناسب أن ختام سورة الشعراء مناسب لبداية سورة النمل؛ لأنهما تناولتا قضية القرآن الكريم والدفاع عنه، وأكدتا على أنه من عند الله تعالى.

ووجه التناسب عند الشيخ الغماري أنه لما كانت خاتمة سورة الشعراء تنفي الكهانة والكذب عن النبي ﷺ، وأن هذا القرآن من عند الله، جاءت فاتحة سورة النمل تتمةً وتثبيتًا بإثبات صفات القرآن التي تخالف الكهانة والشعر وأنه من عند الله.

وقول الدكتور السامرائي فيه إشارة إلى أعمال المؤمنين الصالحة التي أجملت في السابقة، وفصلت في اللاحقة، كذلك يرى أن الرابط بينهما هو التهديد الذي شمل الظالمين في آخر سورة الشعراء، والكافرين في مفتتح سورة النمل، وما ذُكر من أقوال المفسرين في المناسبة له وجه في القوة.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

الأول: تأكيد قضية التوحيد، ففي آخر سورة الشعراء لما وجه نبيه محمدًا ﷺ إلى التوحيد الخالص، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾[الشعراء:213]، ناسب أن يأتي أوائل سورة النمل بذكر هذه القضية للأنبياء السابقين، كموسى عليه السلام، حيث قال الله تعالى:

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[النمل:9]، فهو وحده سبحانه المستحق للعبادة دون سواه، وفي هاتين الآيتين تأكيد على توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وفيهما أيضاً أن رسول الله ﷺ ليس بدعاً من الرسل، فدعوة التوحيد تشمل الجميع.

الثاني: لما قال في ختام سورة الشعراء لرسوله ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ* ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ* إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الشعراء:217–219]، يعني: تقوم إلى الصلاة، فيرى ركوعك وسجودك مع المصلين، ناسب أن يُوصف من اقتدى به بالمؤمنين، الذين هداهم الله لذلك فاستحقوا البشرى منه تعالى، لهذا كان مفتتح سورة النمل بقوله: ﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ* ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[النمل:2–3].

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة القصص وخاتمة سورة النمل.

خاتمة سورة النمل:

قال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ* وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ* مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ* إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ* وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ* وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة النمل:87-93].

فاتحة سورة القصص:

قال الله تعالى: ﴿طسٓمٓ* تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ* نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ* إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ* وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ* وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ* وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ* فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ* وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [سورة القصص:1-9].

المطلب الأول: التعريف بسورة القصص.

سورة القصص هي السورة التاسعة والأربعون في ترتيب النزول، حيث نزلت بعد سورة النمل، وقبل سورة الإسراء[1]، وهي مكية إلا قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾، إلى قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص:52–55]، فقد نزل بالمدينة[2]، وفيها آية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ [القصص:85]، قيل نزلت على النبي ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة مهاجرًا؛ تسلية له على مفارقة بلده، وهذا يؤكد أنها مكية؛ لأن المراد بالمكي ما نزل قبل حلول النبي ﷺ بالمدينة، كما أن المراد بالمدني ما نزل بعد ذلك ولو كان نزوله بمكة.

وسورة القصص لا يُعرف لها اسمٌ آخر، وسبب تسميتها بهذا الاسم كما يرى صاحب التحرير والتنوير، هو ورود لفظ (القصص)[3]، وقد بين الدكتور الزحيلي أن سبب التسمية، هو البيان العجيب لقصة موسى عليه السلام، وتقويض أركان الطغيان، طغيان السلطة عند فرعون، وطغيان المال يمثله قارون[4].

مقصود سورة القصص: إقرار قضايا العقيدة، كالتوحيد وإرسال الرسل، والتأكيد على صدق نبوة محمد ﷺ، وبيان إعجاز القرآن الكريم، كما تؤكد على مآل الصراع بين الحق، الذي يمثله موسى

---

[1] ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج10، ص251؛ وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج20، ص61.

[2] ينظر: الرازي: محمد بن عمر التميمي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420هـ)،ج24، ص577؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج10، ص251؛ وينظر: ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ)، ج3، ص374؛ وينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج13، ص247.

[3] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج20، ص61.

[4] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج20، ص51.

عليه السلام، والباطل الذي يمثله فرعون وهامان وقارون وأتباعهم[1]، وأن النصرة في النهاية للحق وأهله مهما علا شأن الباطل وأهله.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة القصص وخاتمة سورة النمل ودراستها:

أ- ذكر الإمام الغرناطي أن الله تعالى لما بشر نبيه ﷺ بقوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل:91]، وأكد على ذلك في ختام سورة النمل بقوله: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ [النمل:93]، بما يحمل البشرى بفتح مكة، وعز المؤمنين، وذل الكافرين، ناسب أن يذكر في بداية سورة القصص طرفاً مما جرى لموسى عليه السلام، وقد نصره الله تعالى على الطاغية فرعون، حيث قال تعالى: ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾[القصص:6]، [2].

ب- أشار الإمام أبو حيان إلى أن الله تعالى لما ختم سورة النمل بقوله: ﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [النمل:93]، والآيات هي المعجزات، فناسب أن يفتتح سورة القصص بالحديث عن أكبر المعجزات، وهو القرآن الكريم حيث قال: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [القصص:2][3].

ج- ذكر الإمام البقاعي وجهًا للمناسبة قريبًا من كلام الإمام أبي حيان، حيث قال: "إن الله تعالى لما ختم سورة النمل بالوعد المؤكد بأنه يظهر آياته فتعرف، وأنه ليس بغافل عن شيء، من باب

---

[1] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج20، ص52.

[2] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص265.

[3] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص285.

التهديد للظالم، والتثبيت للعالم، ناسب أن يبدأ سورة القصص، بما يوحيه في الكتاب المبين من الأساليب المعجزة، من خفايا علوم أهل الكتاب، فلا يقدرون على ردّه، ومن الثاني ما صنع بفرعون وآله"[1].

د- قال الشيخ الغماري: "إن الله ﷻ قال في السورة السابقة: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:76]، فقال هنا: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص:3]، وذكر قصة موسى -عليه السلام- وهو رسول بني إسرائيل وصاحب شريعتهم بتفصيل لم يُذكر في سورة أخرى"[2].

هـ- وضح الدكتور السامرائي: أنه سبحانه لما ذكر في أواخر سورة النمل قوله: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل:92]، ناسب أن يفتتح سورة القصص بذكر هذين النموذجين، بياناً لعاقبة الهدى والضلال[3].

دراسة أقوال المفسرين:

في المناسبة الأولى ربط الإمام الغرناطي التناسب بين السورتين في الختام والبدء، ذاكراً أن الآيات في خاتمة سورة النمل تحمل بشارة للنبي ﷺ بالانتصار على الكافرين، وذلك بفتح مكة، ليشعر الصحابة الكرام بالعزة، وهذا ليس بدعًا من الأمر، فلقد انتصر موسى -عليه السلام- على من هو أشد منهم قوة، كما أشارت بدايات سورة القصص إلى تمكين الله لموسى والمؤمنين معه ضد فرعون وجنوده.

---

[1] البقاعي، **نظم الدرر**، ج14، ص234.

[2] الغماري، **جواهر البيان**، ص74.

[3] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص125.

وربط الإمام أبو حيان وجه المناسبة بأن خاتمة سورة النمل ذكرت الآيات، التي هي المعجزات، وجاءت بدايات سورة القصص بالكلام عن القرآن، فهو المعجزة الخالدة، بينما نجد الإمام البقاعي يؤكد هذا المعنى، لكنه أضاف أن الحكمة من ذكر الآيات في آخر النمل، تتمثل في تهديد الظالمين، ثم ذكر أن مفتتح القصص جاء بالحديث عن الكتاب الذي حوى إعجازًا في أسلوبه، ومكنون أسراره.

أما الشيخ الغماري فقد بيَّن أن ما أجملته خواتم سورة النمل، في الإخبار عن بني إسرائيل، فصَّلته بدايات سورة القصص، حيث تحدث عن موسى عليه السلام، وموقفه من فرعون، وموقف فرعون من دعوته.

وفيما ذكره الدكتور السامرائي أن فاتحة سورة القصص جاءت ببيانٍ لما ورد في عاقبة الهدى والضلال المذكورين في خاتمة سورة النمل، وهم موسى ومن آمن به، وفرعون ومن تبعه، وعاقبة كل منهما.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

الأول: الحديث عن تلاوة القرآن في خاتمة سورة النمل: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [النمل:92]، وفاتحة سورة القصص ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ* نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾[القصص:2-3]، والعلة هي العظة والاعتبار.

الثاني: ذكر الله تعالى في ختام السابقة أنه لا يغفل عما يعمله الظالمون، فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[النمل:93]، ثم ذكر في مفتتح القصص تكبر فرعون وظلمه وإفساده، بقوله: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَة مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[القصص:4]، وفي هذا إشارة أنه سبحانه لا يغفل عن الظلم.

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة العنكبوت وخاتمة سورة القصص.

خاتمة سورة القصص:

قال الله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡر مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ* إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَاد قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰل مُّبِين* وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَة مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرا لِّلۡكَٰفِرِينَ* وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ* وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [سورة القصص:84-88].

فاتحة سورة العنكبوت:

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ* أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ* وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ* أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ* مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ* وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ* وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ* وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡم فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ* وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ* وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡر مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَ لَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُور ٱلۡعَٰلَمِينَ* وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [سورة العنكبوت:1-11].

المطلب الأول: التعريف بسورة العنكبوت:

سورة العنكبوت هي السورة الخامسة والثمانون في ترتيب نزول سور القرآن، حيث نزلت بعد سورة الروم وقبل سورة المطففين[1]،واختلف العلماء هل هي مكية أم مدنية، فقال جمع منهم الحسن وعكرمة وعطاء وجابر: كلها مكية، وهو قول الجمهور، وقيل: إنها مدنية كلها، وجاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنها نزلت بين مكة والمدينة[2].

وسبب تسميتها بسورة العنكبوت هو اشتمالها على آية: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:41]، التي تشير إلى أن من اعتمد على قوة الأصنام كمن اعتمد على ضعف بيت العنكبوت [3]، قلت: وهذا ديدن جميع سور القرآن الكريم في التسمية، إذ تسمى بأشهر ما ورد فيها من قصص.

مقصود سورة العنكبوت: حث المؤمنين على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثبات وتعوُّد الصبر حال الفتن والابتلاءات، كما أنها تؤكدعلى قضية وحدانية الله سبحانه وتعالى، وترك عبادة من سواه[4].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج20، ص199، 200.

[2] ينظر: الماوردي: علي بن محمد البغدادي، **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج4، ص274؛ وينظر أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص338؛ وينظر: الشوكاني: محمد بن علي، **فتح القدير**، (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1414هـ)، ج4، ص221؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج10، ص338.

[3] ينظر: القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد بن قاسم الحلاق، (ت:1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ)، ج7، ص544.

[4] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص345؛ وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج20، ص200– 201، وينظر: فايز السريح، **معالم السور**، ص169.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة وخاتمة سورة ودراستها:

أ- ذكر الإمام الغرناطي، أن سورة القصص لما تضمنت وقوع الابتلاء بالخير والشر، وأشارت في خاتمتها إلى ابتلاء النبي ﷺ بالخروج من بلده ومفارقة وطنه، من خلال ما حوته البشارة الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[القصص:85]، أعقب سبحانه هذا بقوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت:2]، ليعلم العباد وينبههم أن الابتلاء سنة إلهية، وقد نقل هذا القول الإمام النيسابوري والإمام البقاعي[1].

ب- قال الإمام النيسابوري: "لما أُمر النبي ﷺ بالدعاء إلى الدين القويم في قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ [القصص:87]، وكان دونه من المتاعب وأعباء الرسالة ما لا يخفى، بدأ السورة التالية بما يهوّن على النفس بعض ذلك"[2].

ج- قال الشيخ الغماري، ونقله الدكتور السامرائي مُخْتَصَرًا: "إن الله ذكر في السورة السابقة افتتان بعض المؤمنين الفقراء بزينة قارون، وتمنيهم أن يكون لهم مثل ماله. وأن أهل العلم نهوهم عن ذلك، وأفهموهم أن ثواب الله خير للمؤمن ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ* وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۖ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص:79-80] فذكر هنا أن المؤمن لا بد أن يختبر

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص271؛ ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب** الفرقان، ج5، ص368؛ وينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج5، ص534- 535.

[2] النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج5، ص368.

ويمتحن بالمصائب من فقر وغيره ليظهر صدق إيمانه ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:2، 3]"[1].

د- ذكر الدكتور الزحيلي: لما قال تعالى في آخر السورة المتقدمة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، وأعقبه بما يبطل قول منكري الحشر: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص: 88] رد في مطلع هذه السورة على منكري الحشر القائلين: لا فائدة في التكاليف إذ لا مرجع بعد الهلاك والزوال، ومضمون الرد أن للتكليف فائدة وهي أن يثيب الله الشكور ويعذب الكفور [2].

دراسة أقوال المفسرين:

في المناسبة الأولى: أكد الإمام الغرناطي أن التناسب قائم على وجوب الابتلاء؛ لأنه سنة إلهية ماضية بين الناس، حيث يبتلى المرء بالشدائد تمحيصًا له، كي يُعرَف صدقه من كذبه، ووافقه على الوجه الإمام النيسابوري والإمام البقاعي، وربط الإمام النيسابوري أن الأمر بالدعوة إلى الرسالة دونه من المتاعب والأعباء، فبدأ بما يهوّن على النفس بأن البلاء جارٍ على كل المؤمنين.

كما ربط الشيخ الغماري وجه المناسبة فيما ورد من الفتنة والبلاء، فأشار إلى أن ختام القصص تضمنت افتتان الفقراء بالأغنياء، فكان لا بد من تخلية قلبه من هذه الفتنة بالمال، ومن هنا أكدت سورة العنكبوت في بدايتها امتحان الفقراء بالمصائب، إظهارًا لصدق الإيمان من عدمه، واتجه الدكتور الزحيلي إلى مجابهة الأفكار المنحرفة، حيث ردت السورتين في ختام الأولى، وبدء الثانية على منكري الحشر، القائلين بأن التكاليف الشرعية لا طائل من ورائها بعد الموت.

---

[1] الغماري، **جواهر البيان**، ص75- 76؛ وينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص126.

[2] الزحيلي، **التفسير المنير**، ج20، ص181، 182.

وقد ظهر لي وجه في المناسبة:

لما ذكر سبحانه في خاتمة سورة القصص: التوحيد وعدم الشرك، والرجوع الحتمي إلى الله تعالى يوم القيامة، في قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ* وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرُۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص:87، 88]، ناسب التأكيد على هاتين القضيتين في أوائل سورة العنكبوت كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [العنكبوت:8].

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الروم وخاتمة سورة العنكبوت

خاتمة سورة العنكبوت:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ* وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ* وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ* فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ* لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ* أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ* وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ* وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت:62–69].

فاتحة سورة الروم:

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ* غُلِبَتِ ٱلرُّومُ* فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ* فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ* بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ* وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ* يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ* أَوَ لَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ* أَوَ لَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ* ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [سورة الروم:1–10].

المطلب الأول: التعريف بسورة الروم.

سورة الروم هي السورة الرابعة والثمانون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الانشقاق، وقبل سورة العنكبوت[1]، وهي مكية بلا خلاف بين أهل العلم[2]، بيد أن الإمام البيضاوي في تفسيره استثنى من مكيتها قول الله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾[الروم:17][3]، وسبب تسمية سورة الروم بهذا الاسم لأنه ورد فيها ذكر اسم الروم، وهذه الكلمة لم ترد في غيرها من سور القرآن[4].

مقصود سورة الروم:

قصدت السورة الكريمة "إثبات الأمر كله لله، فتأتي الوحدانية مطلقاً في الإلهية وغيرها، والقدرة على كل شيء فيأتي البعث ونصر أوليائه، وخذلان أعدائه"[5].

---

[1] يُنظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج14، ص1؛ وينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص327؛ وينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص39-40.

[2] يُنظر: الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الجواد، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ-1997م)، ج4، ص305؛ وينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص327.

[3] يُنظر: البيضاوي: عبد الله بن عمر الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ)، ج4، ص201.

[4] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص39- 40.

[5] البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص349.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الروم وخاتمة سورة العنكبوت ودراستها.

أ- ذكر الإمام الغرناطي أن أهل مكة لما تغافلوا عن الاعتبار بما هم عليه من نعمة الأمن والأمان، التي أنعم الله تعالى بها عليهم، حيث قال تعالى في ختام سورة العنكبوت: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:67]، ناسب أن يفتتح سورة الروم بذكر طائفة هم أشد منهم قوة، وأوسع بلدًا، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ* غُلِبَتِ ٱلرُّومُ* فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم:1-3]، وفي هذا حث على استشعار النعمة كي يثوبوا إلى شكر الله تعالى.

ب- يرى الإمام الغرناطي أيضا، ونقل عنه الدكتور السامرائي[1]: لما ذكر سبحانه في ختام سورة العنكبوت حقيقة الدنيا، بقوله: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:64]، أتبع ذلك في صدر سورة الروم بذكر تقلب حالها، وعدم ثباتها، وأنها لا تصفو لأحد، فأخبر بأمر الروم، الذين انهزموا مرة وسيهزمون مرة، ومما يقوي هذا المأخذ قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:7]، أي: لو علموا باطنها لتحققوا أنها لهو ولعب ولعرفوا أمر الآخرة.

ب- ما يراه الإمام البقاعي: من أن ختام سورة العنكبوت كان عن تذكير مشركي مكة بنعمة الأمن التي ينعمون بها، فقال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سورالقرآن**، ص273؛ وينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص127.

[العنكبوت:67]، وكان آخر آياتها مدح المجاهدين بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69]، وحين انتصر الفرس على الروم، فرح المشركون وقالوا للمسلمين: قد انتصر إخواننا الأميون على إخوانكم أهل الكتاب، فناسب أن تفتتح سورة الروم بالاستدلال على وحدانيته سبحانه وتعالى، وإبطال الشرك، وإثبات أنَّ الأمر كله بيده، فيُسعد المؤمنين بنصرة من له دين صحيح الأصل، وخذلان أهل الباطل والجهل، وفي هذا إشارة إلى نصر المؤمنين على المشركين[1].

د- قال الإمام السيوطي: أقول: "ظهر لي في اتصالها بما قبلها أنها خُتمت بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:69]، فافتُتحت هذه بوعد من غُلِبَ من أهل الكتاب بالغَلَبَةِ والنصر، وفرح المؤمنين بذلك، وأن الدولة لأهل الجهاد فيه، ولا يضرهم ما وقع لهم من قبل ذلك من هزيمة"[2].

هـ- قال فاير السريح: "ذكر في أول سورة الروم الإخبار عن الغيب كما ذكر في السورة السابقة، لتنبيه السامع والإقبال على الاستماع لما هو معجزة"[3].

---

[1] يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج15، ص2.

[2] السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص124؛ ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج21، ص16، 17.؛ وينظر المراغي، **تفسير المراغي**، ج21، ص26؛ وينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص127.

[3] السريح، فايز بن سياف، **البينات في علم المناسبات**، (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1، 1442هـ-2021م)، ص166، وعزاه إلى، مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، ج6، ص1، 2.

دراسة أقوال المفسرين:

ربط الإمام الغرناطي بين ختام الأولى وافتتاح الثانية عن طريق التذكير بنعمة الأمن والأمان التي أحاط الله تعالى بها أهل مكة، محذراً إياهم من الغفلة عن طريق ضرب المثل بالروم، إحدى القوى المجاورة لهم، التي انهزمت على يد قوة أخرى، وقريبا من هذا الوجه في المناسبة ربط الإمام البقاعي أنه لما ذَكَّر المشركين بنعمة الأمن المذكورة في خاتمة العنكبوت، ناسب أن يفتتح سورة الروم بالاستدلال على وحدانيته سبحانه وتعالى، وإبطال الشرك، وإثبات أنَّ الأمر كله بيده، ووجه المناسبة الثالثة عند الإمام الغرناطي: أنه لما ذكر سبحانه حقيقة الدنيا في خاتمة العنكبوت، ناسب أن يذكر في فاتحة الروم حالها من التقلب وعدم الثبات ليتعظ العقلاء.

كما بين الإمام السيوطي العلاقة التناسبية بين الختام والبدء عن طريق الحديث عن المجاهدين الذين يهديهم الله تعالى سبلهم، ومن ذلك فرحهم بنصر أهل الكتاب، أما وجه المناسبة التي ذهب إليها السريح فقد كان الربط فيها بالكلام عن الغيب المستقبل، الذي تحقق فيما بعد بانتصار الروم على الفرس خلال بضع سنوات، وقد ألمح أن سورة العنكبوت تحدثت عن الغيب، مثل حديثها عن اليوم الآخر، وهو غيب سيتحقق وقوعه كذلك، والهدف هو تنبيه الغافلين للعمل بكتاب رب العالمين، وهي مناسبات لها وجه في القوة.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

الأول: أنه تعالى لما قال في أواخر سورة العنكبوت ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:61]، فكان اعترافهم مجرد كلام يتناقض مع العمل، فناسب أن يدعوهم الله تعالى إلى الانطلاق من التأمل في أنفسهم إلى التأمل فيما هو أكبر

من خلق الناس، فقال في بدايات سورة الروم: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾[الروم:8].

الثاني: قوله تعالى في خاتمة سورة العنكبوت:﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ* لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:65،66]، فهاتان الآيتان تصفان ما كان عليه أهل الجاهلية من التعلق بالأصنام، حيث كانوا يصطحبونها معهم في البحر، وكانوا إذا اشتدت بهم الريح، وأيقنوا أنهم هلْكى لا محالة، ألقوها في البحر ولاذوا بربهم وحده يطلبون منه النجاة، وبعد ما يستجيب لهم وينجيهم، فإنهم يعودون إلى الشرك مرة أخرى[1]، فيتوعدهم الله تعالى بسبب عنادهم، ومن هنا ناسب أن يفتتح سورة الروم بذكر فئة من الناس، عندهم من العناد والتكبر ما جعلهم يرفضون الإيمان بدعوة النبيﷺ كحال من لم يؤمن من الفرس والروم.

[1] يُنظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج21، ص21.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة لقمان وخاتمة سورة الروم

خاتمة سورة الروم:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ* وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ* ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْف ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْف قُوَّة ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّة ضَعْفاً وَشَيْبَة يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ* وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَة كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ* وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ* فَيَوْمَئِذ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ* وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَل وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَة لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ* كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ* فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[سورة الروم:52–60].

فاتحة سورة لقمان:

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ* تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ* هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ* ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ* أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ* وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْم وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَاب مُّهِين* وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ* خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ* خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَد تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّة وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْج كَرِيمٍ* هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰل مُّبِينٍ﴾ [سورة لقمان:1–11].

المطلب الأول: التعريف بسورة لقمان

سورة لقمان هي السورة السابعة والخمسون في تعداد نزول السور، حيث نزلت بعد سورة الصافات، وقبل سورة سبأ' وهي مكية وعليه إطلاق جمهور المفسرين[1]، وقيل: يُستثنى منها قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰم....﴾ [لقمان:27-28]، إلى آخر الآيتين[2].

وسميت هذه السورة بسورة لقمان؛ لاشتمالها على قصة لقمان الحكيم، وذكر حكمته ووصاياه لابنه، وإدراك جوهر الحكمة، يكون بمعرفة وحدانية الله تعالى، والأمر بفضائل الأخلاق والآداب، والنهي عن القبائح والمنكرات[3].

مقصود سورة لقمان:

إثبات الحكمة للقرآن الكريم، وفيه دلالة على حكمة منزِّله سبحانه وتعالى، حيث ذكرت لقمان الحكيم نموذجاً لذلك[4].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة لقمان وخاتمة سورة الروم ودراستها:

أ- ذكر الإمام الرازي: أن الله تعالى لما قال في آخر سورة الروم: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ﴾ [الروم:58]، فأشار في هذه الآية إلى كون القرآن معجزة، إلا أن الناس يكفرون بآياته، فناسب أن يذكر بهذا الكتاب في مفتتح

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص137، 138.

[2] يُنظر: الفيروزآبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج1، ص370.

[3] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص137-138؛ ويُنظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج21، ص125.

[4] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص356؛ وينظر: السريح، **معالم السور**، ص127.

سورة لقمان، حيث قال: ﴿الٓمٓ *تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[لقمان:1-2]، ولهذا أشار بعدها بقوله: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾[لقمان:7][1].

ب- بين الإمام الغرناطي: أنه لما نبَّه الله -تعالى- في خاتمة الروم على الاعتبار، فضرب المثل لمن عقل معناه، وتدبر حكمه، قائلاً: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾[الروم:58]، في إشارة إلى كثرة الأمثال والعظات الموجودة في هذا الكتاب، وتنوعها، فناسب أن يتبع ذلك بقوله في مفتتح سورة لقمان: ﴿الٓمٓ* تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [لقمان:1-2]، والمعنى: أن دلائل هذا الكتاب وبراهينه، تكون لمن وفق وسبقت له الحسنى، وهم المحسنون الذين ذكرهم الله تعالى في الآيات التالية، وَوَصْفُ الكتاب بالحكمة يشهد لما فيه من حكم وأمثال ومواعظ[2]، ونقل هذا الكلام بتمامه الإمام البقاعي[3]، وإلى هذا المعنى أيضًا ذهب الإمام أبو حيان، حيث ذكر احتمالية أن يكون ذلك لبعد غاية القرآن وعلو شأنه[4].

ج- قال الإمام البقاعي: "لما خُتمت الروم بالحث على العلم، وهو ما تضمنه هذا الكتاب العظيم، والأمر بالصبر والتمسك بما فيه من وعد، والنهي عن الأطماع لأهل الاستخفاف في المقاربة لهم في شيء من الأوصاف، وكان ذلك هو الحكمة، قال أول هذه: ﴿آلم﴾ مشيرًا بها إلى أن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام بوحي ناطق من الحكم والأحكام بما لا ينطق به من قبله إمام"[5].

---

[1] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج25، ص114؛ ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج5، ص422؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج11، ص64؛ وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج21، ص71؛ وينظر، الزحيلي، **التفسير المنير**، ج21، ص124؛ وينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص128.

[2] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص275- 276.

[3] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج15، 141.

[4] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص408.

[5] البقاعي، **نظم الدرر**، ج15، 141.

د- ذكر الإمام السيوطي: أن قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ* تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ* ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان:1-3]، له علاقة قوية بقوله تعالى في خاتمة سورة الروم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾[الروم:56]، ووجه التناسب هو أن إيمانهم بيوم البعث هو عين إيقانهم بالآخرة[1].

هـ- قال الشيخ الغماري: إن الله تعالى ختم سورة الروم بتسلية نبيه ﷺ، قائلاً له: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ* وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [الروم:52-53]، وفي الآيتين تصوير بديع لعناد الكفار، وإعراضهم عن سماع القرآن، فناسب أن يذكر في بدايات سورة لقمان من أصرَّ منهم على الإعراض، ومصيره في الآخرة، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ* وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[لقمان:6-7][2].

و- وقال أيضا: لما ذكر الله في آخر سورة الروم أدلةً على كمال قدرته وتفرده بالألوهية، ناسب في بدايات سورة لقمان أن يُصرِّح بمطالبة الكفار، كي يبينوا ما فعلت آلهتهم من دونه، فقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ* هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[لقمان:10-11] [3].

---

[1] ينظر: السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص125، ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج21، ص 125.

[2] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص79-80.

[3] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص79-80.

ز – يرى السامرائي أن الله تعالى لما قال في أواخر سورة الروم: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[الروم:59]، ناسب أن يذكر في أول سورة لقمان من هو مطبوع على قلبه، ومن يضل الناس بغير علم، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ* وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:6–7][1].

دراسة أقوال المفسرين:

تباينت أقوال المفسرين، فجادت قرائحهم بكثير من الوجوه، كما يلي:

الأول: خاص بإعجاز القرآن وبيان موقف مشركي العرب منه، وهو ما ذهب إليه الإمام الرازي، ومن تابعه من المفسرين.

الثاني: متعلق بالسبب والنتيجة، حيث رأى الإمام الغرناطي أن رابطاً قويًّا بين السورتين، كان ختام الأولى بمثابة السبب، وهو وجود الأمثال والمواعظ، وبدايات سورة لقمان بمثابة النتيجة، وهي الاعتبار بهذه الأمثال والتوفيق لها، وهذا الوجه نقله الإمام البقاعي، ووافق عليه الإمام أبو حيان.

الثالث: متعلق بالعلم والحكمة والإحسان، كما بيَّن ذلك الإمام البقاعي في التناسب بين آخر سورة الروم، وبدايات سورة لقمان.

الرابع: يتعلق بعقيدة اليوم الآخر، حيث ذكرت سورة الروم الإيمان بالبعث، وأكدت سورة لقمان أن هذا هو عين اليقين بالآخرة، وإلى هذا الرأي ذهب الإمام السيوطي، وأيده الدكتور الزحيلي.

---

[1] السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص128، 129.

الخامس: يتعلق بتسلية فؤاد النبي ﷺ ببيان مصير من أعرض عن سماع القرآن الكريم في الخاتمة والفاتحة، وهو ما قاله الشيخ الغماري.

السادس: يقرر أن كمال القدرة الإلهية في الخلق أحد الوجوه البارزة، كما ذكر في آخر سورة الروم، فناسب في بدايات سورة لقمان أن يُصرِّح بمطالبة الكفار، كي يبينوا ما فعلت آلهتهم من دونه، وهو ما قاله الشيخ الغماري أيضا.

السابع: ما ذهب إليه الدكتور السامرائي أنه لما ذكر في خاتمة الروم من طبع الله على قلبه، ناسب أن يذكر في أول سورة لقمان من هو مطبوع على قلبه، ومن يضل الناس بغير علم، وكل هذه المناسبات لها وجه في القوة.

وقد ظهرت لي وجوه في المناسبة، وهي كالتالي:

الأول: لما ذكر سبحانه وتعالى في خاتمة سورة الروم قوله عن يوم القيامة: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ﴾ [الروم: 55]، وبيان سرعة انقضاء الدنيا، وقلة وقتها، وندم المجرمين في قوله تعالى: ﴿مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ﴾ ناسب أن يذكر في فاتحة سورة لقمان نعيم المؤمنين في الآخرة وأبدية أمرها في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ* خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ [لقمان:8–9].

الثاني: التناسب بين الختام والمفتتح في إقرار قضية الخلق، حيث ذكر في سورة الروم عجيب قدرة الله تعالى في خلق الإنسان بقوله ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾[الروم:54]، ثم ناسب أن يذكر في أوائل سورة لقمان طلاقة القدرة الإلهية في خلق السماوات والأرض، اللذين هما أكبر من خلق الناس، فقال:﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ

وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡج كَرِيمٍ* هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰل مُّبِينٖ﴾ [لقمان:10-11].

الثالث: لما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر أمام من لا يوقن بالآخرة، قائلاً: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:60]، مبينًا أن ما وعد الله به سبحانه لا بد أن يقع، ناسب أن يمتدح الله تعالى في المقابل من يوقنون بالآخرة، حيث قال في أوائل سورة لقمان:﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ* ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[لقمان:3-4].

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة السجدة وخاتمة سورة لقمان.

خاتمة سورة لقمان

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ* ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ* أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ* وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ* يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ* إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان:29-34]

فاتحة سورة السجدة:

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ* تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ* أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ* ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ* يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ* ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ* ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ* ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ* ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ* وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ* قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [السجدة:1 -11]

المطلب الأول: التعريف بسورة السجدة

سورة السجدة هي السورة الثالثة والسبعون في تعداد نزول السور ، حيث نزلت بعد سورة النحل، وقبل سورة نوح [1]، وهي مكية عند أكثر المفسرين[2]، واستثنى بعضهم ثلاث آيات تبدأ من قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة:18]، وقيل: خمس آيات فيها مدنية[3].

ومن أشهر أسمائها سورة (السجدة)[4]، وسميت أيضًا تنزيل السجدة، كما عنون لها البخاري بذلك في صحيحه،[5] وأورد حديثاً مسنداً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: {الم* تنزيل} السجدة، و{هل أتى على الإنسان}»[6]، ومن أسمائها سورة (المضاجع) لوقوع لفظ المضاجع في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [السجدة:16][7]، وسميت أيضاً (المنجية)[8]. ويتبين من ذلك أن كثرة الأسماء تدل على مكانة هذه السورة الكريمة.

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص202.

[2] الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير (ت:310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422 هـ - 2001م)، ج18، ص589؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 25، ص، 135.

[3] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص428؛ وينظر: **التحرير والتنوير**، ج21، ص201 وما بعدها.

[4] ينظر: **المرجع السابق**.

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، ج2، ص40.

[6] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الصلاة، باب سجدة تنزيل السجدة ج2، ص40، رقم (1068).

[7] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج25، ص، 135؛ وينظر، الآلوسي، **روح المعاني**، ج11، ص113.

[8] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج14، ص84.

مقصود سورة السجدة:

قصدت السورة "إنذار الكفار بهذا الكتاب السار للأبرار بدخول الجنة والنجاة من النار"[1]. كما أنها بينت "دلائل الحق ومشاهده التي نزل بها القرآن، كحقيقة الخلق، وأحوال الإنسان"[2].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة السجدة وخاتمة سورة لقمان ودراستها:

أ- يرى الإمام الرازي أن الله تعالى لما ذكر في خاتمة سورة لقمان دلائل وحدانيته، كالأصل الأول وهو بدء الخلق، والأصل الثاني وهو المعاد والحشر، ناسب أن يبدأ سورة السجدة ببيان الرسالة، وهو الأصل الثالث فقال:﴿الٓمٓ *تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [السجدة:1، 2]، وهذا الكتاب فيه عجائب العالمين؛ لأنه من رب العالمين[3].

ب- أما الإمام الغرناطي فيرى أنه لما انفردت خاتمة سورة لقمان ببيان أن الله تعالى خالق للجميع، ومالك كل شيء، أتبع ذلك بما يحكم تسجيل صحة الكتاب، الذي هو من عند الله سبحانه، وقد انطوى عليه من الدلائل والبراهين ما يرفع كل ريب، ويزيل كل شك فقال: ﴿الٓمٓ* تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ* أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة:1-3]، وفي الآية الثالثة سؤال مفاده: أيقع منهم هذا التكذيب بعد وضوح الكتاب وجلاء شواهده؟[4].

ج- ذكر السيوطي أن خواتم سورة لقمان لما شرحت مفاتيح الغيب الخمسة، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡس مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ

---

[1] البقاعي، **مصاعد النظر، ج2، ص361.**

[2] فايز السريح، **معالم السور**، ص183.

[3] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج25، ص135؛ ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص428؛ ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج5، ص435؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج11، ص113؛ وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج21، ص102؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج21، ص182، 183.

[4] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص 278.

بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان:34]، ناسب أن يذكر في بدايات سورة السجدة شرحًا وافيًا يختص ببيان قدرة الله تعالى على الخلق والتدبير [1].

د- قال السامرائي: "إن الله -تعالى- أجاب في آخر سورة لقمان عن سؤال الكفار واستهزائهم، حين قالوا: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة:10]، فكأن الجواب عن هذا السؤال هو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ * إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان33، 34]"[2].

هـ- وقال أيضا: لما ذكر الله تعالى في آخر آية من سورة لقمان قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ [لقمان:34]، ناسب أن يذكر في سورة السجدة بداية خلق الإنسان فقال: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ* ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾[السجدة: 7، 8][3].

دراسة أقوال المفسرين:

ورد في التناسب بين فاتحة سورة السجدة وخاتمة سورة لقمان ست مناسبات دارت حول المسائل الآتية:

---

[1] ينظر: السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص125، 126، وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج21، ص102؛ وينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص80، 81؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج21، ص183.

[2] ينظر، **السامرائي**، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، ص130، 131.

[3] ينظر: **المرجع السابق**، ص131.

الأولى: التناسب بين دلائل القدرة الإلهية في الخلق والإعادة، وبين صدق النبوة فيما دل علية الكتاب الذي لا ريب فيه.

وهذا رأي جمع من المفسرين كالإمام الرازي والإمام أبو حيان والإمام النيسابوري والإمام الآلوسي والشيخ المراغي والدكتور الزحيلي.

الثانية: انفراد سورة لقمان بتقرير حقيقة الخلق والملك، وتسجيل صحة هذا التقرير في الكتاب الذي يرفع كل ريب ويزيل كل شك، ويرفض أي تكذيب للحقائق، وإلى هذا الوجه ذهب الإمام الغرناطي في برهانه.

الثالثة: أن ختام سورة لقمان مع بدايات سورة السجدة بينهما عموم وخصوص، حيث كانت الثانية شارحة للأولى، وخاصة مفاتيح الغيب الخمسة التي بُثَّ شرحها في ثنايا سورة السجدة، وهذا ما أكده الإمام السيوطي والشيخ المراغي والشيخ الغماري والدكتور الزحيلي.

الرابعة: من أوجه التناسب أن أواخر سورة لقمان تُعد بمثابة إجابة عن سؤال واستهزاء الكافرين في إنكارهم البعث الوارد في سورة السجدة، لكني أرى أن الدكتور السامرائي لم يوفق في هذا الوجه؛ لأن اللاحق لا بد أن يكون جوابًا عن السابق وليس العكس.

الخامسة: البيان والإيضاح بين علم الله لما في الأرحام، وبداية خلق الإنسان وهذا الوجه انفرد به السامرائي.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

الأول: لما دعا الله سبحانه وتعالى في خاتمة سورة لقمان إلى التفكر في خلق الله تعالى وكونه، قائلاً: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[لقمان:29]، ناسب أن يذكر في صدر سورة السجدة قوله

تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[السجدة:4]، الداعي إلى التذكير بأن الذي خلق هذا الكون وما سُخِّر فيه لخدمة الإنسان، إنما هو من خلق الله تعالى وحده.

الثاني: لما ذكَّر الله تعالى الناسَ في ختام سورة لقمان بإنعامه عليهم، حيث قال: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰت لِّكُلِّ صَبَّار شَكُور﴾ [لقمان:31]، ذكر أن الذي ينتفع بالنعم هو الصبار على الضراء، الشكور على نعمه؛ ولهذا ناسب أن يذكر في بدايات سورة السجدة أن القليل من العباد هو الشاكر، فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [السجدة:9].

الفصل الثاني: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها

من سورة الأحزاب إلى سورة فصلت

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الأحزاب وخاتمة سورة السجدة

خاتمة سورة السجدة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَة مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ* وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّة يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِأَيَٰتِنَا يُوقِنُونَ* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ* أَوَ لَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ* أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ* وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ* قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ* فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[السجدة 23– 30]

فاتحة سورة الأحزاب:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيما* وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرا* وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلا* مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُل مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۖ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ* ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاح فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورا رَّحِيمًا* ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡض فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُوراً﴾ [الأحزاب:1–6].

المطلب الأول: التعريف بسورة الأحزاب

سورة الأحزاب هي السورة التسعون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الأنفال، وقبل سورة المائدة[1]، وقد نقل الإمام ابن عطية الإجماع على مدنيتها[2]، وذكر الإمام القرطبي أيضًا أنها مدنية في قول جميع العلماء[3].

وسميت بهذا الاسم لاشتمالها على ذكر أحداث غزوة (الخندق)، فهي تحكي قصة الأحزاب المتحزِّبة من مشركي قريش والمتواطئين معهم، ممن أرادوا غزو المسلمين في المدينة، واستئصال شأفتهم، لكن الله –تعالى– ردّ كيدهم، وكفى المؤمنين القتال[4]، وقيل: "سميت (الفاضحة)؛ لأنها فضحت المنافقين، وأبانت شدة إيذائهم لرسول الله ﷺ"[5].

مقصود سورة الأحزاب: ركزت على العناية بالرّسول ﷺ، وحماية جنابه وأهل بيته أمهات المؤمنين الطاهرات، كما قررت بعض التشريعات كإبطال عادة التبني، وإظهار بعض الآداب؛ لأنه عليم بما يصلحهم، حكيمٌ فيما يفعله[6].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الأحزاب وخاتمة سورة السجدة ودراستها

أ– ما ذكره الإمام البقاعي أنه لما خُتمت سورة السجدة بالإعراض عن الكافرين، وانتظار ما يحكم به فيهم رب العالمين، ناسب أن يفتتح سورة الأحزاب بنهي النبي ﷺ عن طاعة المخالفين من

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص245.

[2] يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص 367.

[3] يُنظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج14، ص113؛ وينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج3، ص605.

[4] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص245.

[5] الزحيلي، **التفسير المنير**، ج21، ص225.

[6] يُنظر: الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج1، ص377؛ ويُنظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص370؛ وينظر االسريح، **معالم السور**، ص187.

الكافرين والمنافقين وأمره بالاتباع والتوكل عليه سبحانه، تنبيهًا على أن الإعراض إنما يكون طاعةً لله مع مراعاة تقواه[1].

ب- قال الإمام أبو حيان: "ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة، وهو أنه حكى أنهم يستعجلون الفتح، وهو الفصل بينهم، وأخبر -تعالى-: أنه يوم الفتح لا ينفعهم إيمانهم، فأمره في أول هذه السورة بتقوى الله، ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به"[2]، وذكر الإمام النيسابوري مثل هذا الوجه[3]، كما ذكرها الدكتور السامرائي، وقد نصَّ على آيات بعينها، فقال: "جاء في أواخر السجدة: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة:29]، ولو أنهم آمنوا في الدنيا لنفعهم إيمانهم، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في الأحزاب بتقوى الله، وهي التي تنفع في الدنيا ويوم الفتح"[4].

ج- يرى الشيخ الغماريُّ أنَّ اللهَ ﷻ لما توعَّدَ الكفارَ في سورة السجدة بأن يذيقهم من العذاب الأدنى في الدنيا بالقتل والأسر، قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:21]، ناسب أن يخبر في بدايات سورة الأحزاب عن تحقيق الوعيد المذكور في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:9][5].

---

[1] يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج15، ص273، 274؛ ويُنظر: السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص126؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج11، ص140؛ ويُنظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج21، ص123؛ ويُنظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج21، ص225؛ ويُنظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص132.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص451.

[3] يُنظر: النيسابوري، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج5، ص445.

[4] السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص133.

[5] يُنظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص81.

د- ذكر الدكتور السامرائي: أنه سبحانه لما ختم سورة السجدة بقوله تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة:30]، ناسب أن يبدأ سورة الأحزاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب:1]، فعدم طاعة الكافرين والمنافقين، إنما هو من الإعراض عنهم[1].

دراسة أقوال المفسرين:

اختلفت أقوال المفسرين في التناسب بين خواتم سورة السجدة وبدايات سورة الأحزاب، حيث ذكر الإمام البقاعي أن الأُولى خُتمت بأمر والثانية بُدأت بنهي، فالأمرُ يتعلق بالإعراض عن المُخالِفين، والنَّهي يتعلق بعدم طاعتهم، وكلاهما من تقوى الله ﷻ، والمُلاحَظ أن هذا الوجه اختاره عدد كبير من المفسرين المهتمين بعلم المناسبات بين الآيات والسور، كالإمام السيوطي، والإمام الآلوسي، والشيخ المراغي، والدكتور الزحيلي، بينما نجد الإمام أبا حيان يربط بين السورتين في الختام والبدء من ناحية استعجال الكفار حلولَ بأسِ الله وغضبه بهم، من باب الاستبعاد والعناد، فإذا حلَّ بهم في الدنيا فلا يُقبلُ إيمانُهم في الآخرة، هكذا خُتمت سورة السجدة بهذا المعنى، الذي ناسبه أن تبدأ سورة الأحزاب بالأمر بالتقوى، والنهي عن طاعة الكفار والمنافقين، والأمر والنهي صادران عن علم الله -تعالى- وحكمته، وهو تناسب وإن لم يبعد كثيرًا عما ذكره البقاعي، إلا أنه أضاف بُعدًا جديدًا في ختام الأولى، وهو استعجال الكفار وقوع البأس بهم، وهذا الوجه نقله الإمام النيسابوري، والدكتور السامرائي، الذي اختصره بعبارات وجيزة جدًّا، أعطت المعنى نفسه.

---

[1] يُنظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص131.

وأضاف الشيخ الغماري وجهًا لم يُسبق إليه، يتعلق بتهديد الكفار أن يذوقوا العذاب الدنيوي بالقتل والأسر، قبل أن يذوقوا عذاب النار في الآخرة كما ذكرت خواتم سورة السجدة، ورأى أن سورة الأحزاب بيَّنت تحقُّق هذا الوعيدَ.

أما استنباط الدكتور السامرائي أن النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين الوارد في مفتتح سورة الأحزاب هو بمثابة التفسير والإيضاح للأمر بالإعراض عنهم الوارد في ختام سورة السجدة، وهي فكرة مستخلصة من آراء السابقين في علم المناسبات، كالبقاعي وغيره من أصحاب الرأي الأول، إلا أن الدكتور الفاضل وظَّفها بطريقة مختصرة.

وكل هذه الأقوال التي ذكروها رغم تشابهها، إلا أنَّ لها وجوهاً مقبولةً، كما أن الختام والبدء يحمل أكثر من وجه لم يتطرق إليه العلماء.

وقد ظهرت لي وجوه في المناسبة:

أولاً: أن الله تعالى لما ذكر نبيه موسى عليه السلام في خواتم سورة السجدة، وأكد أن من اتبعه كانوا أئمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ* وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:23،24] ناسب أن يبدأ سورة الأحزاب بمخاطبة النبي ﷺ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الأحزاب:1]، ففيه تسلية له عليه الصلاة والسلام للثبات والصبر على أذى المعاندين والرافضين طريق الحق.

ثانياً: لما ذكر الله تعالى كمال قدرته في خاتمة سورة السجدة بقوله تعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ* أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ [السجدة:26،

27]، ناسب أن يوجه الناس في شخص رسول الله ﷺ إلى التوكل عليه سبحانه بقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلا﴾ [الأحزاب:3]، فهو وحده المستحق بذلك.

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة سبأ وخاتمة سورة الأحزاب

خاتمة سورة الأحزاب:

قال الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا* إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا* خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرا* يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا* وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا* رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنا كَبِيرا* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيها* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا* يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا* إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوما جَهُولا* لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:63-73]

فاتحة سورة سبأ:

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ* يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ* وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّة فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰب مُّبِين* لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَة وَرِزۡق كَرِيم﴾ [سبأ:1-4]

المطلب الأول: التعريف بسورة سبأ.

سورة سبأ هي السورة الثامنة والخمسون في تعداد النزول، حيث نزلت بعد سورة لقمان وقبل سورة الزمر [1]، وعن مكية السورة نقل الإمام أبو حيان والإمام الآلوسي الإجماع على ذلك[2].

ووجه تسمية سورة سبأ بهذا الاسم، ذِكرُ قصةِ سبأ، وهم ملوك اليمن، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ:15]، والله ﷻ قد أنعم عليهم بكثير من النعم، مثل: الحدائق الغنَّاء، والأراضي الخصبة، لكنهم لما كفروا بأنعم الله، أبادهم بالسيل الشديد[3].

مقصود سورة سبأ: أظهرت قدرة الله تعالى وحكمته في إيقاع الآخرة، وتبديل أحوال الناس في العطاء والمنع فيها، جزاءً للشاكرين، وعقاباً للكافرين[4]، أما التركيز الأكبر في السورة فيكون كما يقول صاحب الظلال: "على قضية البعث والجزاء؛ وعلى إحاطة علم الله وشموله ولطفه، وتتكرر الإشارة في السورة إلى هاتين القضيتين المترابطتين بطرق منوعة، وأساليب شتى؛ وتظلل جوَ السورةِ كلَّه من البدء إلى النهاية"[5].

---

[1] يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص404؛ وينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج14، ص258؛ وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج22، ص133-134.

[2] يُنظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص517؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج11، ص277.

[3] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج22، ص133؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج22، ص131؛ وينظر: الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ - 2002م)، ج8، ص83.

[4] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص377.

[5] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص2888.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة سبأ وخاتمة سورة الأحزاب ودراستها.

أ- أشار الإمام أبو حيان: أنه لما نزل قول الله ﷻ في آخر سورة الأحزاب: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾[الأحزاب:73]، وأنكر كفار مكة البعث وعذاب الآخرة، ناسب أن يذكر في بدايات سورة سبأ قوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[سبأ:3]، من باب التهديد والتخويف لهم[1].

ب- ما ذكره الإمام البقاعي، أنه لما ختمت سورة الأحزاب بعرض أداء الأمانة وحملها على السماوات والأرض والجبال، فأشفقن منها وحملها الإنسان، وترتب على أداء الأمانة وحملها عذابًا وثوابًا، فعلم أن الله -تعالى- هو المالك المتصرف في هذا الكون، فناسب أن يبدأ سورة سبأ بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ* يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ:1-2]، التي تؤكد إحاطته سبحانه بأوصاف الكمال المطلق في الخلق والأمر، في الدنيا والآخرة[2].

ج- ما قاله الإمام السيوطي: من أن سورة الأحزاب"لما خُتمت بقوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:73]، افتتُحت سورة سبأ بأن له ما في السموات وما في الأرض، وهذا الوصف لائق بذلك الحكم، فإن المُلك العام والقدرة التامة يقتضيان ذلك"[3].

د- يرى الإمام الآلوسي أن الله سبحانه لما ذكر في خاتمة سورة الأحزاب سؤال الكفار عن الساعة على جهة الاستهزاء، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ﴾ [الأحزاب:63]، ناسب

---

[1] يُنظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص517، 518؛ ويُنظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج11، ص277.

[2] يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج15، ص428، 429.

[3] السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص126-127؛ ويُنظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج11، ص277؛ ويُنظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج22، ص131.

أن يذكر في مفتتح سورة سبأ صريح إنكارهم ليوم القيامة وما يتعلق بها بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ:3][1].

هـ- ذكر الدكتور الزحيلي أن الله ﷻ لما ختم سورة الأحزاب بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:73]، ناسب أن يؤكد في بداية سورة سبأ على هاتين الصفتين الإلهيتين بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾[سبأ:2][2].

دراسة أقوال المفسرين:

تنوعت أقوال المفسرين في التناسب، حيث ذهب الإمام أبو حيان إلى أن التناسب بين خاتمة الأحزاب وافتتاح سبأ يظهر في سبب النزول، إذ أكد على أن نزول العذاب بالكفار يوم القيامة كان عقب إنكارهم لقيام الساعة، وهو وجه مقبول، أما ما ذهب إليه الإمام البقاعي من التناسب فيؤكد طلاقة القدرة الإلهية، واتصاف الله -تعالى- بأوصاف الكمال والجلال.

وما بيَّنه الإمام السيوطي أن الله -تعالى- لما ذكر عذاب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، وتوبته على المؤمنين والمؤمنات، فإن ذلك يتطلب اتصافه بالملك الدال على القدرة التامة، وهو رأي لم يبعد كثيرًا عما ذهب إليه الإمام البقاعي، وقد أيد الإمام السيوطي فيه الإمام الآلوسي، والدكتور الزحيلي.

---

[1] يُنظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج11، ص277؛ ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج22، ص55؛ ويُنظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص82، 83؛ ويُنظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج22، ص131؛ ويُنظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص133.

[2] يُنظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج22، ص131.

وذكر الإمام الآلوسي أن ما أخفاه الكفار من إنكار يوم القيامة استهزاءً في سورة الأحزاب، بيَّنه صراحةً في سورة سبأ، وهو وجه يتشابه أيضاً مع الوجه الذي ذكره الإمام أبو حيان، وقد أيَّده في ذلك الشيخ الغماري والشيخ المراغي والدكتور الزحيلي والدكتور السامرائي.

وبيَّن الدكتور الزحيلي أن الختام والبدء اشتركا في ذكر صفتي المغفرة والرحمة الإلهية، وهذه الأوجه التي ذكرها المفسرون لها وجه في القوة، بيد أن جلها قريبة في الطرح، بدليل تأييد كثير منهم لما خَطَّه من سَبَقه؛ ولهذا أشرت إلى موضع تكرار وجه التناسب بذكر المؤيدين له من المفسرين دون كتابته.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

الأول:- أنه لما أكد الله ﷻ في أواخر سورة الأحزاب على عذاب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، في مقابل توبته على المؤمنين والمؤمنات، فإن ذلك لا يتأتى إلا من علمه سبحانه بحالهم؛ لهذا ناسب أن يبين العلم الإلهي في صدر سورة سبأ بقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ:2].

الثاني: أنه لما ذكر سبحانه في آخر آية من سورة الأحزاب صفتين من صفاته، قائلاً: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:73]، ناسب أن يذكر في سورة سبأ من تشملهم هذه المغفرة والرحمة، فقال: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَة وَرِزۡق كَرِيم﴾ [سبأ:4]، فبيَّن أن الفائزين بعفو الله ومغفرته هم المؤمنون الذين اعتادوا فعل الأعمال الصالحة، حتى صارت لهم سجية.

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة فاطر وخاتمة سورة سبأ

خاتمة سورة سبأ:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ* قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ* قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ* قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ* قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ* وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ* وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ* وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ* وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبٖ﴾ [سبأ:46– 54].

فاتحة سورة فاطر:

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ* مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ* يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ* وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ* يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ* إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ* ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [فاطر:1–7]

المطلب الأول: التعريف بسورة فاطر

سورة فاطر هي السورة الثالثة والأربعون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة الفرقان وقبل سورة مريم[1]، وهي مكية [2]، وقد نقل الإمام القرطبي قول الجمهور على ذلك[3].

وسميت سورة فاطر بهذا الاسم؛ لأن هذا الوصف الجليل ذُكر في طليعتها دون غيرها[4]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:«كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها»[5]، وسُميت أيضًا سورةُ الملائكة[6]، "لما جاء فيها من خلق الملائكة، وجعلهم ذوي أجنحة متنوعة في العدد، الدالّ على عجيب صنعه تعالى وباهر قدرته"[7]، وقد جاء عن ابن مسعود –رضي الله عنه، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَة جَنَاحٍ»[8].

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج22، ص247.

[2] يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص428؛ وينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج4، ص253؛ ويُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج22، ص247.

[3] يُنظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج14، ص318.

[4] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج22، ص247؛ ويُنظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج8، ص158.

[5] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت: دار الفكر) ج7، ص3، أخرجه البيهقي **في شعب الإيمان**، طلب العلم، ج3، ص212، رقم (1559).

[6] يُنظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج11، ص334.

[7] القاسمي، **محاسن التأويل**، ج8، ص158.

[8] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾، ج4، ص1841، رقم (4576). وأخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، ج1، ص157، رقم (280). وقال المحقق د.عبدالعلي حامد: رجاله ثقات إلا شيخ المؤلف السلمي فإنه نتكلم فيه.

مقصود سورة فاطر: عرض مشاهد قدرة الله والإبداع في الخلق وبواعث تعظيمه، وخشيته والإيمان به وتذكر آلائه [1].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة فاطر وخاتمة سورة سبأ ودراستها.

أ- ما ذكره الإمام الرازي من أن الله ﷻ لما ذكر في ختام سورة سبأ حال الشاكّين المكذبين عند رؤيتهم للنار وقذفهم فيها، وتيقنهم من عدم قبول توبتهم، مع اعتقادهم انعدام النفع في إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانۢ بَعِيدٍ﴾[سبأ:52]، فيحال بينهم وبين أموالهم وأولادهم ولذائذهم، كما في قوله: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبٖ﴾ [سبأ:54]، فناسب أن يفتتح سورة فاطر ببيان حال الموقن وإرسال الملائكة إليه مبشرين، وأن الله ﷻ يفتح له أبواب الرحمة[2].

ب- يرى الإمام السيوطي أن الله ﷻ لما بيَّن في آخر سورة سبأ هلاك المشركين وإنزالهم منازل العذاب، فقال: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ﴾ [سبأ:54]، اقتضى أن يذكر ما يلزم المؤمنين من الحمد والشكر على ما اتَّصف به سبحانه من القدرة على الخلق والإبداع، وإرسال الملائكة في افتتاح سورة فاطر.[3].

ج- يرى السامرائي أنه سبحانه ذكر في خاتمة سورة سبأ عاقبة الكافرين فقال: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ* وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانۢ بَعِيدٖ* وَقَدۡ

---

[1] السريح، **معالم السور**، ص199.

[2] يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج26، ص221، يُنظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص9.

[3] يُنظر: السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن** ص127؛ ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص83؛ وينظر الآلوسي، **روح المعاني**، ج11، ص334؛ وينظر: الزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ-1957م)، ج1، ص38؛ وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج22، ص103؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج22، ص218.

كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيد* وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّ مُّرِيبۭ﴾ [سبأ:51– 54]، وقال في أوائل سورة فاطر: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُل مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ* يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ* إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ* ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَاب شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَة وَأَجۡر كَبِيرٞ﴾ [فاطر:4 –7]، فالموضعان في عاقبة الكافرين[1].

دراسة أقوال المفسرين:

ذكر المفسرون عدة أوجه في التناسب، كان الأول منها عبارة عن وصف الحال، بين الشاك والموقن، حيث نال الأول عقوبته بالحرمان من كل ما تشتهيه نفسه، بينما كان من المناسب أن تبدأ سورة فاطر بالحمد لله لبيان رحمة الله ﷻ التي شملت الموقن، وهذا الوجه فيه من الروعة ما يناسب الآيات.

ونرى الإمام السيوطي وغيره يتأمل في ارتباط الآيات في ختام الأولى، وبدأ الثانية من ناحية عذاب المشركين المتقضي شكرَ الموحدين الذي دعت إليه سورة فاطر، وهو تناسب لائق، وإن كنت أرى تقاربًا بين الوجهين، لأن الإخبار بمصير الكافرين وعقابهم يُنبئ بمنة الله علينا وفضله أن هدانا للإيمان، فيلزم الحمد على ذلك، وعلى ما اتصف به سبحانه من الخلق والقدرة، وكذلك انقطاع الرجاء ممَن كان في شكّ مُرِيب لما عاين آخرتَه، ناسبه ذِكرُ حَال المؤمنين وبشارتهم بإرسال الملائكة وأنه يفتح لهم أبواب رحمته، أما ما ذهب إليه الدكتور السامرائي في التناسب ففيه تأكيد على عقوبة الكافرين في المختتم والمفتتح.

---

[1] السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص134.

وقد ظهرت لي وجوه في المناسبة:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى دعا إلى التفكر في خاتمة سورة سبأ، فقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ [سبأ:46]، فناسب أن يوجه عقول الناس وأعينهم إلى خلق السماوات والأرض في بداية سورة فاطر بقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:1].

الثاني: لما ذكر الله –تعالى– في ختام سورة سبأ تكذيب المشركين للرسل السابقين، كما في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ:45]، ناسب أن يكرر هذه القضية في بداية سورة فاطر بقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [فاطر:4]، تسلية لرسول الله ﷺ.

الثالث: لما وصف الله –تعالى– نفسه في سورة سبأ بعلم الغيب قائلاً: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [سبأ:48]، ناسب أن يحدثنا في أول سورة فاطر عن عالم الملائكة وعِظَم خلقهم؛ لأنهم من الغيب الذي لا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه.

الرابع: لما قال الله ﷻ في أواخر سورة سبأ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [سبأ:43]، ناسب أن يبين الله تعالى أول سورة فاطر أن هؤلاء هم حزب الشيطان فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:6].

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة يس وخاتمة سورة فاطر

خاتمة سورة فاطر:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَد مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورا* وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِير لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِير مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا* ٱسۡتِكۡبَارا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا* أَوَ لَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّة وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيما قَدِيرا* وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّة وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَل مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [فاطر :41-45].

فاتحة سورة يس:

قال الله تعالى: ﴿يسٓ* وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ* عَلَىٰ صِرَٰط مُّسۡتَقِيم* تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ* لِتُنذِرَ قَوۡما مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ* لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ* إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ* وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ* وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ* إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَة وَأَجۡر كَرِيمٍ* إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَام مُّبِينٖ﴾ [الروم:1- 12].

المطلب الأول: التعريف بسورة يس

سورة يس هي السورة الحادية والأربعون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة الجن، وقبل سورة الفرقان[1]، وهي مكية وحكى الإمام ابن عطية الاتفاق على ذلك[2].

وسميت سور يس بهذا الاسم؛ لأنها انفردت بهذين الحرفين الواقعين في أولها، وقيل ورد اسمها عن النبي ﷺ[3]، فقد روى أبو داود عن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"اقْرَؤُوا يَس عَلَى مَوْتَاكُمْ"[4]، ومن مسمياتها القلب والدافعة والقاضية والمُعِمَّة[5].

مقصود سورة يس: إثبات الرسالة والتوحيد والبعث، وإلزام الحجة على أهل الضلالة [6].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة يس وخاتمة سورة فاطر ودراستها.

أ- ما أورده الإمام الغرناطي: من أنه لما ختمت سورة فاطر ببيان عظيم ملكه سبحانه، وأشارت إلى ما يرفع الشكوك من البراهين على ذلك، ناسب أن يفتتح سورة يس بالثناء على من اختاره الله واصطفاه لمهمة تبيين تلك النعم، فقال تعالى: ﴿يسٓ* وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ* عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[يس:1- 4][7].

---

[1] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج22، ص341.

[2] يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص445؛ وينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج4، ص5.

[3] يُنظر: ابن عاشور، **التحرر والتنوير**، ج22، ص341.

[4] أخرجه أبو داود **في سنن أبي داود**، كِتَاب الْجَنَائِزِ، بَاب الْقِرَاءَةِ عِنْدَ الْمَيِّتِ، ج5، ص39، رقم (3121)، والحديث **ضعيف**، ضعفه ابن القطان، قال: "وهو لا يصح". ابن القطان: علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، **(ت:628هـ)، بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، تحقيق: الحسين آيت سعيد، (الرياض: دار طيبة، ط1، 1418هـ-1997م)، ج5، ص49.

[5] البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص388.

[6] يُنظر: **المرجع السابق**، ج2، ص392، 393؛ ويُنظر: الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج1، ص390.

[7] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص287.

ب- ما ذكره الإمام السيوطي: من أن الله -تعالى- لما ذكر في خواتم سورة فاطر قوله: ﴿وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[فاطر :37]، وقوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِير لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِّ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِير مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر :42]، وقد أعرض المشركون عن هذا النذير وكذَّبوه، ناسب أن يفتتح سورة يس بالقَسَمِ بصحة رسالته ﷺ، وأنه على صراط مستقيم، لينذر قوماً ما أنذر آباؤهم [1].

ج- ذكر الدكتور السامرائي أن الله -تعالى- قال في أواخر سورة فاطر: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّة وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيما قَدِيرا﴾ [فاطر :44]، فناسب أن يضرب لهم في أوائل سورة يس مثلا لعاقبة الذين كذَّبوا من قبلهم، وهو قصة أصحاب القرية، وذلك قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:13]، إلى قوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَة وَٰحِدَة فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس:29][2].

د- جاء في التفسير الموضوعي، أنه تعالى لما ذكر في أواخر سورة فاطر قدرة الله تعالى المطلقة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيما قَدِيرا﴾ [فاطر :44]، ناسب أن يشير في أول سورة يس إلى بعض مظاهر هذه القدرة، مثل قدرته سبحانه على

---

[1] ينظر: السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص127؛ وينظر: الآلوسي: **روح المعاني**، ج11، ص382؛ وينظر: ابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي (ت:1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة: حسن عباس زكي، ط1، 1419هـ)، ج4، ص 555؛ ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج22، ص114؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج22، ص287.

[2] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص135.

إحياء الموتى، وإحصاء الأعمال وتدوينها على العباد بكل دقة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس:12][1].

دراسة أقوال المفسرين:

ما ذكره المفسرون يدل على الترابط الوثيق بين أوائل سورة يس مع خواتم سورة فاطر، حيث أورد صاحب الوجه الأول تناسبًا يتعلق ببيان النعم، التي يقوم النبي المختار بتوجيه أنظار العباد إليها، أما ما ذهب إليه الإمام السيوطي، ففيه تأكيد على الإنذار في مقابلة الإعراض من قبل المشركين، وفيه أيضاً تأكيد على صحة الرسالة، وقد بيَّن الدكتور السامرائي أن التناسب بينهما يدور حول التهديد بما جرى للأمم السابقة من مصير، حتى يرتدع خصوم النبي ﷺ، ويكفوا عن معاداته وعن الصد عن سبيل الله تعالى، أما الوجه الرابع فالترابط فيه واضح، حيث ذكر في السابقة طلاقة القدرة الإلهية، ودلَّل في اللاحقة ببعض المظاهر على ذلك.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

الأول: لما ذكر سبحانه في خاتمة سورة فاطر عن الكفار قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر:40].، وأكد أن وعد الشياطين للكافرين من شفاعة آلهتهم لهم يوم القيامة ما هو إلا غرور باطل، فناسب أن يذكر بدايات سورة يس عدم إيمانهم مع إنذار النبي ﷺ المستمر لهم، كما في قوله: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ* إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾[يس:10، 11].

---

[1] ينظر: مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج6، ص296.

الثاني: لما ختمت سورة فاطر ببيان حال المستكبرين كما في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾[فاطر:43]، والمستكبر يعرض عن الحق، ناسب أن يذكر بدايات سورة يس عقوبة هذا الاستكبار الذي هو من جنس عملهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾[يس:8].

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الصافات وخاتمة سورة يس

خاتمة سورة يس:

قال الله تعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ* وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ* قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ* ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ* أَوَ لَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ* إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ* فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس:77-83].

فاتحة سورة الصافات:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا* فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا* فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا* إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ* رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ* إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ* وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ* لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ* دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ* إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ* فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ* بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ* وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ* وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ* وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ* أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ* أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ* قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ* فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ* وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ* هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات:1-21]

المطلب الأول: التعريف بسورة الصافات

سورة الصافات هي السورة السادسة والخمسون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الأنعام وقبل سورة لقمان[1]، وهي مكية عند جماهير أهل العلم[2]، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يصلي بها كاملة، فعن عبد الله بن عمر ﷺ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ بَالتَّخْفِيفِ، وَيَؤُمُّنَا بِالصَّافَّاتِ»[3].

واشتهرت السورة باسم (الصافات)، ووجه تسميتها بهذا الاسم، لافتتاحها بالقسم الإلهي بالصّافات، ويُراد بهم الملائكة الأطهار، الذين يصطفّون في السماء كصفوف الناس في الصلاة [4].

مقصود سورة الصافات:

قصدت السورة الكريمة "تنزيه الله تعالى عما نسبه إليه المشركون، وإبطال مزاعمهم في الملائكة والجن"[5].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج23، ص81.

[2] ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج4، ص25؛ وينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج15، ص61؛ وينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج5، ص5؛ وينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت:774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م)، ج7، ص5.

[3] أخرجه النسائي في **المجتبى من السنن**، كتاب الإمامة، باب الرخصة للإمام في التطويل، ج2، ص95، رقم (826)، وأخرجه أحمد في **المسند**، ج4، ص402، رقم (4796)، وقال شعيب الأرناؤط: إسناده حسن.

[4] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج23، ص81؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير** ج23، ص60.

[5] السريح، **معالم السور**، ص208.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الصافات وخاتمة سورة يس ودراستها.

أ- يرى الغرناطي: أنه لما تضمنت ختام سورة يس التنبيه على أن الله تعالى هو الملك المتصرف في ملكه، وإن رغم أنف المعاندين والجاحدين، ناسب أن يفتتح سورة الصافات بالقسم على وحدانيته فقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا* فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا* فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا* إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ* رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات:1-5] [1].

ب- قال الإمام أبو حيان عن سورة الصافات: "ومناسبة أولها لآخر يس أنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى، وأنه هو منشئهم، وإذا تعلقت إرادته بشيء كان، ذكر تعالى وحدانيته، إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة وجودًا وعدمًا إلا بكون المريد واحدًا"، وقد أشار إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتا﴾ [الأنبياء:22]"[2].

ج- ذكر الشيخ الغماري أن الله ﷻ لما ذكر في أواخر سورة يس استبعاد الكافر للبعث، والردَّ عليه، في قوله سبحانه: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ* وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ* قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:77-79]، ناسب أن يؤكد على قضية البعث فأعاد الكلام في بدايات سورة الصافات على منكري البعث جميعًا، مع ذِكر جزائهم، حيث قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ* أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان فى تناسب سور القرآن**، ص: 288؛ وينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج16، ص191.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص89؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج12، ص63؛ وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج23، ص41؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج23، ص61؛ وينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص137.

وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ* أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ* قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ* فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَة وَٰحِدَة فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ* وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ* هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[الصافات:15-21][1].

د- يرى الشيخ الشنقيطي أنه سبحانه وتعالى لما ختم سورة يس بقوله: ﴿أَوَ لَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس:81]، ناسب أن يذكر في بدايات سورة الصافات قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات:11]، ووجه التناسب أن من قدر على خلق الأكبر فلا شك أنه قادر على خلق الأصغر، كخلق الإنسان خلقاً جديداً بعد الموت، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:79][2].

هـ- يرى الدكتور فاضل السامرائي أن الله عزّ وجل لما ذكر في آخر سورة يس خلقه للسماوات والأرض، قائلاً: ﴿أَوَ لَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ* إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ* فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس:77-83]، ناسب أن يؤكد في أوائل سورة الصافات أنه ربهما، قائلاً: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات:5]، فالذي خلقهما هو ربهما، وهو سبحانه وتعالى الذي بيده ملكوت كل شيء[3].

---

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص88- 89؛ ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص136؛ وينظر: مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج6، ص342، 343؛ وينظر، العمودي: ابتسام عمر، **المختارات من المناسبات بين السور والآيات**، (الرياض: مركز تدبر، ط1، 1436هـ - 2015م) ص204.

[2] ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج5، ص574، 575.

[3] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص136، 137.

دراسة أقوال المفسرين: تدور أقوال المفسرين حول عدة قضايا:

الأولى: إثبات الوحدانية، حيث ذكرت السابقة ملك الله تعالى وتصرفه فيه، وأكدت اللاحقة أن هذا الملك لا يكون إلا لإله واحد، وهو وجه واضح.

الثانية: بيان طلاقة القدرة الإلهية، فنرى أن الإمام أبا حيان ربط بين ختام سورة يس ومفتتح سورة الصافات بأن لوازمَ الألوهية المذكورة في السابقة من التحكم في يوم المعاد، وإحياء الموتى، وابتداء النشأة، ونفاذ الإرادة، مستلزمٌ للوحدانية المذكورة في أوائل سورة الصافات: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾[الصافات:4] ، وأرى أن قضية التوحيد ظاهرة بقوة فيما ذهب إليه الإمام الغرناطي، فكان من المناسب أن تأتي سورة الصافات للتأكيد على التوحيد الخالص، كما نرى أن الشيخ الشنقيطي أكد على قضية القدرة الإلهية في الخلق كرابط بين السورتين في المفتتح والمختتم.

الثالثة: قضية البعث، حيث كان التناسب بينهما قويًّا في إقرار عقيدة بعث الناس من قبورهم يوم القيامة، والرد على منكريه، فالإعادة في مفتتح سورة الصافات كانت للتأكيد، الذي يكون معه إفحام الخصوم وبيان عقوبة التكذيب والإنكار، ولقد أجاد الشيخ الغماري ومن تابعه من المفسرين في عرض هذا الوجه.

الرابعة: لوازم الوحدانية، حيث ذكرت سورة يس خلق السماوات والأرض، وذكرت من صفات الله وأسمائه الخلَّاق العليم، كما ذكرت تفرده سبحانه بملكوت السماوات والأرض، وهذا كله يناسب ذكر سورة الصافات لتوحيد الربوبية بقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات:5].

وقد ظهر لي في المناسبة وجهان:

أولاً: لما ذكر الله ﷻ في خاتمة سورة يس خلق الإنسان مجملاً في قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس:78]، ناسب أن يذكِّر ذلك الإنسان في فاتحة سورة الصافات بحقيقة خلقه، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات:11].

ثانيًا: لما خُتمت سورة يس بقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:83]، مؤكدة أن الجميع إلى الله تعالى راجع يوم القيامة، ناسب أن يذكر ندم المنكرين والمكذبين له، بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ* هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: 20-21].

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة ص وخاتمة سورة الصافات

خاتمة سورة الصافات:

قال الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ* وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:159– 182].

فاتحة سورة ص:

قال الله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ* بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ* كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ* وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ* أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ* وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ* مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ* أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ* أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ* أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ* جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [الصافات:1– 11].

المطلب الأول: التعريف بسورة ص:

سورة (ص) هي الثامنة والثلاثون في عداد نزول السور، حيث نزلت بعد سورة القمر، وقبل سورة الأعراف[1]، وهي مكية[2]، وقيل: مدنية، لكن العلماء ضعفوا هذا الرأي[3]، وقد نقل الإمام ابن الجوزي الإجماع على مكيتها[4].

سميت سورة (ص) بهذا الاسم، لابتدائها بهذا الحرف[5]، وقيل: سميت سورة داود [6]، لتناولها قصته عليه السلام.

مقصود سورة ص: ذكر المخاصمة بالباطل وعاقبتها[7]، فقد اشتملت السورة على خصومات متعددة، كخصومة الكفار مع النبي ﷺ في جعل الآلهة إلها واحدا، واختصام الخصمين عند داود عليه السلام، ثم تخاصم أهل النار، ومخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم[8].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج23، ص201؛ وينظر: الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ) ج4، ص70.

[2] الواحدي: أبو الحسن، علي بن محمد، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ – 1994م) ج3، ص537؛ وينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج5، ص23.

[3] ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج8، ص 238.

[4] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج3، ص557.

[5] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج23، ص201؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج23، ص161.

[6] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج3، ص557.

[7] السريح، **معالم السور**، ص213.

[8] ينظر: ابن القيم: محمد بن أبي بكر الجوزية، **بدائع الفوائد**، (بيروت: دار الكتاب العربي) ج3، ص174.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة ص وخاتمة سورة الصافات ودراستها.

أ- ما ذكره الإمام أبو حيان من أن الله ﷻ لما ذكر قول الكفار في آخر سورة الصافات: ﴿لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ* لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ* فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الصافات:168 – 170]، فلما جاءهم الذكر كفروا به، ناسب أن يفتتح سورة (ص) بقسمه بهذا الذِّكرِ الذي جاءهم، وهو القرآن الكريم، ثم فصَّل ما أجمله هناك من كفرهم[1].

ب- ما قاله الإمام البقاعي "ولما نزَّه ربُّنا ﷻ نفسَه الأقدس في ختام سورة الصافات عن كل شائبةِ نقصٍ، وأثبت له كلَّ كمالٍ، ناصًّا على العزة، وأوجب للمرسلين السلامةَ، افتتح هذه بالإشارة إلى دليل ذلك بخذلان من ينازع فيه، فقال: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ* بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾"[2].

ج- يرى الشيخ الغماري أن التناسب بين السورتين في الختام والبدء يتبين من خلال عرض التنوع في الكفر، حيث ذكر الله ﷻ في خواتم سورة الصافات كفرَ المشركين من خلال نسبتهم الملائكة بنات لله ﷻ، كما صوره بقوله: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ* أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ* أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ* وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصافات:149 –152]، فناسب أن يأتي في بدايات سورة ص بنوع آخر من كفرهم، يتمثل في اعتقاد آلهة مع الله، وتكذيبهم للرسول ﷺ؛ لهذا قال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰها وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص:4،5][3].

---

[1] ينظر: أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، ج9، ص134؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج12، ص154؛ وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج23، ص94؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج23، ص161؛ وينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص137.

[2] البقاعي، **نظم الدرر**، ج16، ص322-323.

[3] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص92.

د- قال الدكتور السامرائي: "قال عزّ وجل في أواخر سورة الصافات: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات:176،177]، وقال في أوائل سورة ص: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُوم مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [ص:11]، إلى أن قال: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص:15]، فذكر عقابهم في الموضعين"[1].

دراسة أقوال المفسرين:

دارت أقوال المفسرين حول أربعة معانٍ، وبيانها كالتالي:

أولاً: الرد على الأمنيات الباطلة، حيث ذكرت الأولى تمني الكفار قبل الرسول ﷺ أن لو جاءهم من يذكرهم بأخبار الأمم السابقة، أو بكتاب من عند الله، لاستقاموا، لكنهم كفروا حين جاءهم ذلك، وجاء التأكيد على هذه القضية في بداية سورة ص، إثباتاً لنفورهم عن الحق، وبعدهم عنه، وقد أبدع الإمام أبو حيان في طرح هذا الوجه من التناسب.

ثانياً: تنزيه الله تعالى عن كل نقص، وإثبات الكمال التام له سبحانه وتعالى، حيث خُتمت الأولى بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ* وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:180 –182]، فله سبحانه العزة المطلقة، ولما جاء رسله بما يوجب العزة للأمة استكبر عنها الكفار، ولم ينتفعوا بالحق، بل عاندوا الرسل؛ لهذا افتتحت سورة ص بما يدل على خذلانهم، كما في قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:2]، وقد أشار الإمام البقاعي إلى هذا المعنى وأجاد فيه.

---

[1] السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص138؛ وينظر: مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج6، ص438.

ثالثاً: التنوع في عرض القضية الواحدة، حيث رأى الشيخ الغماري أن وجه المناسبة بينهما، كانت في عرض نوع الكفر، فقد تناولت سورة الصافات كفرهم من ناحية جعل الملائكة بنات لله، بينما ذكرت سورة ص كفرهم من ناحية جعلهم شركاء لله –تعالى–، وتكذيبهم لرسوله ﷺ، وهذا أيضًا وجه له وجاهته.

رابعاً: كان ختام الوجوه بالمصير المحتوم للكفار والمشركين، حيث تناسب الختام والبدء في ذكر العقوبة، فكان وجهًا مناسبًا، وقد استنبطه الدكتور السامرائي، والأوجه المذكورة كلها معتبرة.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

الأول: أنه سبحانه لما ذكر في خاتمة سورة الصافات أمرَه للنبي ﷺ أن يتولى عن الكافرين، وأن يصبر على أذاهم، وينتظر إلى وقت مؤجل، وأن يُنْظِرَهم ويرتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال على مخالفتهم له، فإن النصر قادم كما انتصر الرسل والأنبياء السابقين، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ* إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ* وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ* فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ* وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾، [الصافات:171–175]، ناسب أن يذكر في بداية سورة ص طرفا من مصير الكافرين قبلهم في قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:3].

الثاني: أنه تعالى لما ذكر في ختام سورة الصافات إضلال المشركين لغيرهم بعبادتهم الباطلة، حيث قال تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ* مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ* إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾، [الصافات:161–163]، ناسب أن يذكر في مفتتح سورة ص السعي الدؤوب لهؤلاء السادة والكبراء، للدفاع عن زعامتهم التي يجدونها في الشرك وعبادة الأصنام، ثم يؤكد على مصيرهم في الآخرة، حيث قال تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ* مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْأَخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ* أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِيْ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: 6–8].

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الزمر وخاتمة سورة ص

خاتمة سورة ص:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ* فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ* قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ* قَالَ أَنَا۠ خَيْرٞ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٖ* قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ* قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ* إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ* قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ* قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ* لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ* قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ* إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٞ لِّلْعَٰلَمِينَ* وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۢ﴾[ص:71-88]

فاتحة سورة الزمر:

قال الله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ* إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ* أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ* خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلّٞ يَجْرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ* خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٖ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقٗا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[الزمر:1-6]

المطلب الأول: التعريف بسورة الزمر:

سورة الزمر هي السورة التاسعة والخمسون في ترتيب النزول على المختار ﷺ، حيث كان نزولها بعد سورة سبأ وقبل سورة غافر[1]، وهي مكية، إلا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر :53][2]، وقيل إلا آيتين، بإضافة آية ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر :23] للسابقة[3].

وسورة الزمر عُرفت بهذا الاسم، الذي سُميت به؛ "لوقوع هذا اللفظ فيها دون غيرها من سور القرآن"[4]، كما في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر :73][5]، ومن أسمائها سورة الغرف؛ لذكر لفظ الغرف فيها، كما في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر :20]؛ لهذا كان وهب بن مُنَبِّه"[6] يقول: "من أحب أن يعرف قضاء الله ﷻ في خلقه فليقرأ سورة الغرف"[7]

مقصود سورة الزمر: الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك بالله تعالى؛ لأنه رأس الإيمان، وأساس العقيدة السليمة[8].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج23، ص312.

[2] ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج4، ص79.

[3] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج15، ص232.

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج23، ص312.

[5] ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج4، ص79.

[6] هو وهب بن مُنبِّه بن كامل اليماني الصنعاني، ولد في زمن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة أربع وثلاثين، توفى سنة 110هـ، وقيل 114هـ. ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ - 1985م) ج4، ص544 وما بعدها.

[7] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج15، ص232.

[8] ينظر: **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج3، ص473.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الزمر وخاتمة سورة ص ودراستها.

أ- يرى الإمام الغرناطي، أن الله -تعالى- لما ختم سورة (ص) بالحديث عن المشركين وعنادِهم، واتخاذهم أنداداً وشركاء لله، ناسبَ أن تفتتح سورة الزمر بالأمر بالإخلاص في العبادة له سبحانه؛ ليكون نقيضًا لحال المشركين، فقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ* إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ* أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:1-3][1].

ب- وذكر الإمام أبو حيان: أن الله -تعالى- لما ختم سورة (ص) بقوله: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [ص:87]، ناسب أن يكون التعليل في مفتتح سورة الزمر بقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الزمر:1] وكأنهما آية واحدة لو أسقطت البسملة[2].

ج- قال الإمام السيوطي: "لما ذكر سبحانه في سورة (ص) قصة خلق آدم، ذكر في صدر سورة (الزمر) قصة خلق زوجِه منه، وخلقِ الناس كلهم منه، وذكر خلقهم في بطون أمهاتهم خلقا من بعد خلق، ثم ذكر أنهم ميتون، ثم ذكر سبحانه القيامة والحساب والجنة والنار، وختم بقوله سبحانه: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الزمر:75]، فذكر جلَّ شأنُه أحوال الخلق من المبدأ إلى آخر المعاد، متصلا بخلق آدم -عليه السلام- المذكور في السورة قبلها"[3].

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب القرآن**، ص290، 291؛ وينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج6، ص437.

[2] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص181؛ وينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج16، ص437؛ ينظر: السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص128؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج12، ص223؛ وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج23، ص141؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير** ج23، ص238.

[3] السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص129؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج12، ص223؛ **والمراغي، تفسير المراغي**، ج23، ص141؛ والسامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص138؛ والزحيلي، **التفسير المنير** ج23، ص238.

د- وأشار الشيخ الغماري: أن الله تعالى لما أمر نبيه في ختام السورة السابقة أن يقول للكفار: إنه لم يأت بالقرآن من عند نفسه، فقا تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، [ص:86]، ذكر هنا أنه تنزيل من الله العزيز الحكيم[1].

هـ- وقال الدكتور السامرائي: "ذكر تعالى في آخر سورة (ص) قَسَمَ إبليس على إغواء بني آدم إلا المخلصين من عباده فقط، وذلك في قوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:82،83]، وقال في أوائل سورة الزمر: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّين﴾[الزمر :2]، فأمر تعالى نبيه ﷺ بعبادة الله مخلصًا له الدين لينجو من إغواء إبليس، وهذا هو السبيل للنجاة"[2].

دراسة أقوال المفسرين:

تنوعت أقوال المفسرين في التناسب بين خواتم سورة (ص) وبدايات سورة الزمر، حيث خلصت إلى خمسة أوجه:

الأول: يتعلق بإخلاص العبادة في مواجهة الشرك، حيث صورت خواتم سورة ص حال المشركين وما هم عليه من صلَفٍ وعناد، فكان من المناسب أن تأمر سورة الزمر في افتتاحها بالإخلاص لله تعالى في العبادة، وهذا وجه رائع في مضمونه.

الثاني: يتعلق بالحديث عن القرآن الكريم، ووجه المناسبة أن خاتمة سورة ص ذكرت أنه ذِكْرٌ للعالمين، ومفتتح سورة الزمر ذكرت أنه ينزل من صاحب العزة والحكمة، حسب مقتضيات المصلحة

---

[1] الغماري، **جواهر البيان**، ص92-93.

[2] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص139.

للناس فهمًا وعملاً، في إطار قدرة الله تعالى الذي يعلم الأصلح والأنسب لعباده، وهذا القول أيضًا له وجاهته.

الثالث: يتعلق بقدرة الله –تعالى– في الخلق والتكوين، حيث ذكرت خواتم الأولى خلق آدم عليه السلام، وذكرت بدايات الثانية قصة خلق زوجِه حواءَ منه، ثم خلقِ الناس جميعًا، ثم كمال قدرته على الإماتة، ومحاسبة الخلائق يوم القيامة على أعمالهم بالجنة أو النار، وهذا الوجه مناسب جدًّا في الربط بين السورتين في المختتم والمفتتح.

الرابع: يتعلق بمصدر القرآن الكريم، حيث ذكرت الأولى أمر النبي ﷺ أن يخبر الكفار بأنه ليس ممن يكذب على الله تعالى، فناسب أن يؤكد في بداية الثانية أن القرآن نزل من عند الله تعالى، لدعوة الناس وتوجيههم لإفراده بالعبادة، ولهذا القول وجه في القوة.

الخامس: يتعلق بالحيطة والحذر من وساوس الشيطان وإغوائه؛ لإبعاد الناس عن الإخلاص في عبادتهم لله تعالى، فذكر في السابقة قَسَم إبليس على إغواء بني آدم، واستثنى المخلصين منهم، وكان الأمر في التالية للنبي ﷺ بالإخلاص في العبادة؛ لأنه سبيل النجاة من إغواء إبليس، وهو قول له وجاهته أيضًا.

وقد ظهرت لي وجوه في المناسبة:

أولاً: لما ذكر الله ﷻ في خاتمة سورة (ص) الملائكة وعبادتهم لله سبحانه وحده، المتمثلة في طاعتهم له بالسجود لآدم عليه السلام، من باب التكريم لا العبادة، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص:73]، ناسب أن يَذكر في صدر سورة الزمر من لا يعبد الله تعالى، وإنما يعكف على عبادة حجارة لا تنفع ولا تضر، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر :3]، فالأولى ذكرت صنفاً من العُبَّاد لله، والثانية ذكرت عباد الحجر.

ثانياً: لما ذكر تكبر إبليس وكفره في آخر سورة ص بقوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [ص:74]، وبين مصيره وخروجه من الجنة، وطرده من رحمة الله بقول الله تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص:77،78]، كما ذكر امتلاء النار به وبأتباعه، فقال تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص:85]، ناسب أن يذكر في المقابل تكبر المشركين وكفرهم، وأشار إلى مصيرهم في صدر سورة الزمر بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر :3].

ثالثاً: لما ذكر سبحانه في خاتمة سورة (ص) قول إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ الۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص:82]، وكان فيه الدلالة على أن هناك من الناس من يكفر بالله ويطيع أمرَ إبليسَ، ناسب أن يَذكر تهديداً في أوائل سورة (الزمر): كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ [الزمر :7]؛ ليبين استغناءه سبحانه عنهم.

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة غافر وخاتمة سورة الزمر

خاتمة سورة الزمر

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ* قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ* وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ* وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ* وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: 71– 75]

فاتحة سورة غافر

قال الله تعالى: ﴿حمٓ* تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ* غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ* مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ* كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ* وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ* ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ* رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ* وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الزمر: 1 –9]

المطلب الأول: التعريف بسورة غافر:

سورة غافر هي السورة الستون في ترتيب النزول، كان نزولها بعد سورة (الزمر) وقبل سورة (فصّلت) وهي أول سورِ (آل حم) نزولاً [1]، وهي مكية[2].

وسميت سورة غافر بهذا الاسم؛ لورود قوله تعالى في أولها: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر:3][3]، وكذلك سميت بسورة الطول لذكرها في الآية السابقة[4]، وسميت أيضًا بسورة المؤمن، لاشتمالها على قصة مؤمن آل فرعون[5].

مقصود سورة غافر: قصدت سورة غافر "إثبات وحدانية الله ﷻ، وتنزيل القرآن والبعث، ووصف ملائكة العرش، وإنهاء الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل"[6].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج24، ص76.

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج20، ص274.

[3] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج24، ص76.

[4] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج15، ص288.

[5] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج24، ص68.

[6] الزحيلي، **التفسير المنير**، ج24، ص68، وينظر: **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج6، ص528.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة غافر، وخاتمة سورة الزمر ودراستها.

أ- أشار الإمام الغرناطي: لما ختمت سورة الزمر بالحديث عن عزة الله تعالى وقهره، ناسب أن يفتتح سورة غافر بقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [غافر:2]، حيث نبه على انفراده سبحانه بأنه العزيز الحق، الذي قهر خلقه بعلمه وحكمته[1].

ب- قال الإمام أبو حيان: "لما ذكر سبحانه هناك ما يؤول إليه حال الكافر وحال المؤمن، ذكر جل وعلا هنا أنه تعالى غافر الذنب وقابل التوب؛ ليكون ذلك استدعاء للكافر إلى الإيمان والإقلاع عما هو فيه، وأن باب التوبه مفتوح"[2].

ج- ذكر الشيخ الغماري أن الله ﷻ لما ذكر في ختام السابقة نهاية الدنيا، وبعث الناس، ومصير مؤمنهم وكافرهم في الآخرة، بدءً من قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّور فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَام يَنظُرُونَ﴾[الزمر:68]، إلى آخر السورة الكريمة، ناسب أن يفتتح سورة غافر ببعض صفاته سبحانه، والتي تناسب أحداث القيامة، كرحمته ومغفرته، فقال: ﴿حمٓ* تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ* غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر:1- 3][3].

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص293.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص232؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج12، ص293؛ وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج24، ص41؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج24، ص68؛ وينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص139.

[3] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص94، وينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص139.

د- ذكر الدكتور السامرائي وجهين[1]:

الأول: أنه سبحانه لما ذكر في أواخر السابقة عاقبة الكافرين في الآخرة، ناسب أن يذكر في أوائل الثانية عقوبة المكذبين في الدنيا فقال: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:5].

الثاني: قال جلّ شأنه في آخر سورة الزمر: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[الزمر:75]، وقال في أوائل سورة غافر: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ* رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [غافر:7،8]، ووجه التناسب بين هذه وتلك، أنه سبحانه ذكر الملائكة وتسبيحهم في الدنيا والآخرة، والدعاء للمؤمنين بالفوز بالجنة والنجاة من النار.

دراسة أقوال المفسرين:

دارت أقوال المفسرين حول مجموعة من المسائل المهمة، وهي كالتالي:

أولاً: ما يتعلق بصفات الله تعالى، العزيز الغالب، الذي قهر الناس بعلمه وحكمته، وهذا الوجه الذي ذهب إليه الإمام الغرناطي له وجاهته في التناسب بين ختام السابقة وبداية اللاحقة.

ثانياً: ما يتعلق بتقرير عقيدة اليوم الآخر من إثبات الموت والبعث والحساب في الآخرة، ثم مصير الناس فريق في الجنة وفريق في السعير، وربط ذلك بصفات الرحمة والمغفرة، وشدة العقاب،

---

[1] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص139.

مما يناسب جزاء المؤمنين، وعقاب الكافرين، ليتعظ من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، فالجميع إليه صائرٌ؛ لأن المرجع والمصير سيكون إليه سبحانه، وهذا من أكمل الوجوه في تقديري.

ثالثاً: ما يتعلق بمسلك المكذبين لكل دعوات الأنبياء، إذ لما ذكر عقوبتهم في الآخرة، كان من الأنسب بيان عقوبتهم في الدنيا بسبب تكذيبهم، وهذا الوجه لائق جدًّا.

رابعاً: ما يتعلق بالملائكة وعبادتهم وتسبيحهم، فبين الختام والبدء إجمالاً وتفصيلاً، فما أجمله في الزمر عن عبادتهم –وهو التسبيح– فصَّله في غافر، فذكر تسبيحهم وإيمانهم بالله، والاستغفار والدعاء للمؤمنين، وهذا أيضًا ملمح له وجاهته، فكل المناسبات السابقة قوية ومعتبرة.

وقد ظهرت لي وجوه في المناسبة:

الأول: أنه تعالى لما ذكر في خاتمة سورة (الزمر) قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ [الزمر:74]، أي: بدخول الجنة، ناسب أن يذكره في دعاء الملائكة بقوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾ [غافر:8] تأكيدًا لموعوده سبحانه وتعالى لهم.

الثاني: لما خُتمت سورة الزمر بقول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر:75]، ناسب أن يُعرِّف الناس برب العالمين، فقال في صدر سورة غافر قائلاً: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ* غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر:2، 3].

الثالث: لما ذكر تعالى في خواتم سورة الزمر استحقاق الكافرين النار، فقال: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:71]، ناسب أن يُؤكد على ذلك في صدر سورة غافر، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:6].

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة فصلت وخاتمة سورة غافر

خاتمة سورة غافر

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۖ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ* أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ* فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ* فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ* فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر :79–85]

فاتحة سورة فصلت:

قال الله تعالى: ﴿حمٓ* تَنزِيل مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ* كِتَٰب فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡم يَعۡلَمُونَ* بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ* وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّة مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡر وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَاب فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ* قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَر مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰه وَٰحِد فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡل لِّلۡمُشۡرِكِينَ* ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُون* قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّام سَوَآء لِّلسَّآئِلِينَ* ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَان فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ* فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَات فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [فصلت:1 –12]

المطلب الأول: التعريف بسورة فصلت:

سورة فصلت هي السورة الحادية والستون في ترتيب النزول، حيث نزلت بعد سورة غافر وقبل سورة الزخرف[1]، وهي مكية[2]، وقد نقل ابن عطية إجماع المفسرين[3]، تسمى حم السجدة لاشْتمالها على السجدة، وسميت بسورة فصّلت؛ لوقوع قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾[فصلت:3]، وتسمى أيضًا بسورة المصابيح؛ لورود قول الله ﷻ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت:12]، وبسورة الأقوات؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ [فصلت:10][4].

مقصود سورة فصلت:

نوهت السورة الكريمة بالقرآن الكريم ومواقف الكفار الحجاجية، وإعراضهم عنه[5]، كما قصدت "الإعلام بأن العلم هو ما اختاره المحيط بكل شيء قدَّره"[6]، فالعلم هو الذي يحمل الناس على الإيمان بالله، والاستقامة على طاعته؛ لينتفعوا به وقت الشدائد.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة فصلت وخاتمة سورة غافر ودراستها.

أ- ما ذكره الإمام أبو حيان من أن الله ﷻ لما ذكر في خواتم سورة غافر، قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [غافر:82] إلى آخر السورة، وتضمنت هذه الآيات تهديداً لقريش، ناسب أن يُتبع ذلك تهديدًا آخر في بداية سورة فصلت، حيث قال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج24، ص228.

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج20، ص545.

[3] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص3.

[4] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج24، ص227.

[5] ينظر: دروزة: محمد عزت، **التفسير الحديث**، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1383هـ) ج4، ص404.

[6] البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص443.

صٰعِقَةِ عَاد وَثَمُودَ﴾ [فصلت:13]، فكان التناسب بين السورتين في البدء والختام مؤكدًا على عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التبس بهم العذاب، مهددًا قريشًا بمثل ما حل بعاد وثمود من استئصالهم[1].

ب- جاء في التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم أن الله عز وجل "بيّن في سورة غافر الصراع العقلي والعلمي بين المؤمنين والمشركين، وانتهى الجدل إلى بيان موقع المشركين في النار، وكيف يؤمنون حيث لا ينفع الإيمان، فناسب أن يذكر في مفتتح سورة فصلت بيان طبيعة المنهج الذي يسير عليه فريق المؤمنين، وكيف أن الله أنزل لهم قرآناً يهديهم إلى الطريق الموصل إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة"[2].

دراسة أقوال المفسرين:

دارت أقوال المفسرين في مجملها حول وجهين:

الأول: يتعلق بتهديد قريش بسبب عنادهم، من خلال النظر في أحوال الأمم الغابرة، وما حلَّ بهم من عقاب، ثم بين مصائر المكذبين من الأسلاف بشيء من التفصيل في سورة فصلت، وهو من الأوجه التي لها اعتبار، لكن لو ذكر الإمام أبو حيان وجه التشابه بين قومي عاد وثمود مع قريش، فذكر أن الاستكبار وتفضيل الضلال على الهداية هما العامل المشترك بينهم، لكان أفضل وأبين.

الثاني: يتعلق بمعركة الصراع بين الحق والباطل، والتي انتهت بمصير الكافرين في النار، لأنهم انتهجوا منهجًا يخالف المنهج الرباني، وذلك مشار إليه في خاتمة سورة غافر، فناسب أن يبين

---

[1] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص203؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج12، ص347؛ ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج24، ص103؛ ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج24، ص179، ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص140، 141.

[2] مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ص3702.

في صدر سورة فصلت طبيعة منهج الله –تعالى–، الذي جُمِع بين دفتي الكتاب، وقد ضَمِنَ لمن التزم به السعادة دنيا وأخرى، وهو أيضًا له وجاهته.

وقد ظهرت لي وجوه في المناسبة:

أولاً: لما دعا الله ﷻ رسوله ﷺ في أواخر سورة غافر أن يتحلى بالصبر بقوله سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [غافر:77]، وأشار إلى أنه ليس بدعًا من الرسل الذين عانوا مع أقوامهم، فقال: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [غافر:78]، ناسب أن يذكر في صدر سورة فصلت جانبًا من تعنت المشركين وإعراضهم عن قبول الحق، الذي يقابله صبر النبيﷺ، واستمراريته في الدعوة، بمخاطبة عقولهم ودعوة قلوبهم إلى الاستقامة، وتوحيد الله تعالى، وتحذيرهم من الشرك، فقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ* قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [فصلت:5، 6].

ثانيًا: لما ذكر سبحانه في خاتمة سورة غافر قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۖ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر:81]، ناسب أن يذكر طرفًا من هذه الآيات في فاتحة سورة فصلت بدايةً من قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت:9].

ثالثاً: لما خُتمت سورة غافر بقوله تعالى: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾ [غافر:85]، ناسب أن يذكر أمثلةً من هذا البأس، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ

صٰعِقَةِ عَاد وَثَمُودَ﴾ [فصلت:13]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ ريحا صَرۡصَرا فِيٓ أَيَّام نَّحِسَات﴾ [فصلت:16].

الفصل الثالث: التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها

من سورة الشورى إلى سورة ق

المبحث الأول: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الشورى وخاتمة سورة فصلت

خاتمة سورة فصلت:

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَامِنَّا مِن شَهِيد* وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيص* لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَئَُوس قَنُوط وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَة مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَة وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظ* وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيض* قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍۭ بَعِيد* سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ* أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَة مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾[فصلت:47-54].

فاتحة سورة الشورى:

قال الله تعالى: ﴿حمٓ* عسٓقٓ* كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ* لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ* تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ* وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيل* وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيق فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيق فِي ٱلسَّعِيرِ* وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّة وَٰحِدَة وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّ وَلَا نَصِيرٍ* أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾ [الشورى:1-9].

المطلب الأول: التعريف بسورة الشورى:

سورة الشورى هي السورة التاسعة والستون في ترتيب نزولها بين السور ؛ حيث نزلت بعد سورة الكهف، وقبل سورة إبراهيم[1]، والسورة مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر –رضي الله عنهم، إلا أن ابن عباس وقتادة –رضي الله عنهما– استثنوا منها أربع آيات، حيث قالوا: إنها نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى:23] إلى آخر الآيات الأربع[2].

وسميت سورة الشورى بسورة ﴿حمٓ* عٓسٓقٓ﴾، وتسمى ﴿عسٓقٓ﴾ بقصد الاختصار، ولم يثبت عن النبي ﷺ شيء في تسميتها[3]، لكن العلماء اجتهدوا في سر تسميتها بسورة الشورى، حيث إنها سميت بذلك؛ لوصف المؤمنين فيها بالتشاور في أمورهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى:38] [4].

مقصود سورة الشورى: قصدت سورة الشورى معالجة قضايا العقيدة، لكنها أكدت بصفة خاصة تقرير حقيقة الوحي والرسالة[5].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج25، ص24.

[2] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج16، ص1.

[3] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج25، ص23.

[4] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج25، ص20.

[5] ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص 3136.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة (الشورى)، وخاتمة سورة (فصلت) ودراستها.

أ- ما قاله الإمام الغرناطي: "إنه لما اختتمت سورة فصلت بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾[فصلت:54] أعقبها ﷻ بتنزيهه وتعاليه عن ريبهم وشكهم، فقال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾[الشورى:5] [1].

ب- ما ذكره الإمام أبو حيان من أن الله -تعالى- لما ذكر في خاتمة سورة فصلت قوله سبحانه: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾[فصلت:52]، فحكم عليهم بالضلال لما كفروا به، ناسب أن يفتتح سورة الشورى بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[الشورى:3]، فالوحي متصل غير منقطع، كما كان للأنبياء السابقين[2].

ج- يرى الشيخ الشنقيطي أن الله تعالى لما ذكر في خواتم سورة فصلت حال الكفار وإعراضهم عن السجود لله، وتهديدهم بقوله:﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾[فصلت:38]، ناسب أن يفتتح سورة الشورى بقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الشورى:5] مؤكداً التناسب بين المفتتح والمختتم من خلال عبادة الملائكة وتسبيحهم في مقابل امتناع الكفار وإعراضهم[3].

---

[1] الغرناطي: **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص299، وينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج17، ص241.

[2] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط** ج9، ص322؛ ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج13، ص12؛ والمراغي، **تفسير المراغي**، ج25، ص13؛ والغماري، **جواهر البيان**، ص95، 96؛ والسامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص141، 142.

[3] ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج5، ص720-721.

د- ذكر السامرائي، أنه لما ذكر الله -تعالى- في آخر سورة فصلت إحاطة علمه بجميع خلقه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾[فصلت:54]، ناسب أن يؤكد في بدايات سورة (الشورى) على علمه سبحانه بكل شيء، فقال تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[الشورى:3]، فالذي له ما في السماوات والأرض هو الذي بكل شيء محيط[1].

دراسة أقوال المفسرين:

دارت أراء المفسرين حول عدة قضايا:

الأولى: تتعلق بالعقيدة، حيث وصفت السابقة شك الكفار في قدرة الله ﷻ على بعث الناس من قبورهم، وقيام الساعة، فناسب أن يفتتح سورة الشورى بالتأكيد على أن الكون كله خاضع لعظمته سبحانه، ومذعن بربوبيته، غاضب على من لم يُقْدر اللهَ حقَّ قدرِه، والتناسب على هذا النحو قد أجاد فيه الإمام الغرناطي.

الثانية: تتعلق بالقرآن الكريم، حيث أنكرت خاتمة سورة فصلت على الكفار كفرهم بالوحي الإلهي، وحكمت عليهم بالضلال، فجاءت بدايات سورة الشورى مرتبطة بهذه القضية، وحاملة في طياتها تثبيتًا وبشارة للنبي ﷺ باستمرارية اتصال السماء بالأرض عن طريق الوحي حال حياته، كما كانت متصلة بالأنبياء قبله، كما يشير إلى طلاقة القدرة الإلهية، واتصاف الله ﷻ بالحكمة البالغة، وأن الكون كله طوع أمره، وملك إرادته، وقد أحسن الإمام أبو حيان في اختيار هذا الوجه؛ لأن التناسبَ بينهما واضحٌ جدًّا.

---

[1] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص142.

الثالثة: تتعلق بالمقابلة بين الأجناس، حيث قابل جنس من يكفرون بالله تعالى وينكرون نعمه، وجنس آخر لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهم الملائكة الذين لا يفترون عن ذكره تعالى وتسبيحه، وهو وجه له قوة في التناسب.

الرابعة: تتعلق بإحاطة علم الله ﷻ لجميع خلقه، وهذه إحاطة لا تصدر إلا عن قديرٍ، وهو الله سبحانه وتعالى. إلا أن الآيات في ختام السابقة وافتتاح اللاحقة تحمل أوجه تناسب أخرى.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

أولاً: أن الله ﷻ لما ذكر في خاتمة سورة (فصلت) تفرده –سبحانه– بعلم الساعة في قوله: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾[فصلت:47]، ناسب أن يذكر في سورة (الشورى) شيئًا من هذا العلم، وهو قربها في قوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشورى:17].

ثانياً: لما ذكر الله –تعالى– في أواخر سورة فصلت شك المكذبين في اليوم الآخر، ناسب أن يؤكد وقوع هذا اليوم في بدايات سورة (الشورى)، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾[الشورى:7].

المبحث الثاني: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الزخرف وخاتمة سورة الشورى

خاتمة سورة الشورى:

قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ* وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ* صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[الشورى:49-53]

فاتحة سورة الزخرف:

قال الله تعالى: ﴿حمٓ* وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ* أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ* وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ* وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ* فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ* وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ* ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ* وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ* وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف:1-12]

المطلب الأول: التعريف بسورة الزخرف:

سورة الزخرف هي السورة الثانية والستون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة فُصّلت، وقبل سورة الدخان[1]، وهي مكية بإجماع العلماء[2].

وسبب تسميتها سورة الزخرف هو "اشتمالها على وصف بعض مظاهر الحياة الدنيا ومتاعها الفاني وهو الزخرف، أي الذهب أو الزينة ومقارنته بنعيم الآخرة الخالد في قول الله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ* وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف:34-35]".[3]، واللافت للنظر أن الإمام البخاري في صحيحه سماها سورة (حم الزخرف)[4].

مقصود سورة الزخرف:

قصدت السورة الكريمة "بيان المبادىء القرآنية الصحيحة، ونقض التصورات الجاهلية الزائفة"[5]، كما ركزت على الأسس العقدية والاهتمام بإعلاء قدر الأمة الإسلامية عن طريق العقل والحكمة، لتكون لها مكانة تفوق سائر الأمم[6].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج25، ص157.

[2] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 16، ص61؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص45.

[3] الزحيلي، **التفسير المنير**، ج25، ص112.

[4] ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب تفسير حم الزخرف، ج6، ص130.

[5] السريح، **معالم السور**، ص243.

[6] ينظر: مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج7، ص100؛ البقاعي: **مصاعد النظر**، ج2، ص465.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الزخرف، وخاتمة سورة الشورى ودراستها.

أ- قال الإمام الغرناطي: "لما أوضح الله ﷻ في آخر الشورى عظيم حال الكتاب وجليل نعمته به، أردف ذلك في أول الزخرف بذكر سعة عفوه وجميل إحسانه إلى عباده، ورحمتهم بكتابه مع إسرافهم وقبيح مرتكبهم، فقال: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡماً مُّسۡرِفِينَ﴾ [الزخرف:5]"[1].

ب- ذكر الإمام البقاعي: لما أنكر المشركون أن يكون كتاب الله ﷻ من عنده، وأكد سبحانه ما يكذبهم في آخر سورة الشورى، حيث ذكر أن هذا الكتاب روح ونور وهداية، ناسب أن يقسم على عظمة هذا الكتاب في صدر سورة الزخرف[2].

ج- بين الشيخ الغماري: أنه لما ذكر الله ﷻ في ختام سورة الشورى أنه أوحى إلى رسوله ﷺ قرآنًا تحيا به القلوب، فصار هاديًا إلى الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحاً مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُوراً نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الشورى:52]، ناسب أن يذكر في بدايات سورة الزخرف طرفًا من أوصاف القرآن، حيث قال تعالى: :﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[الزخرف:3][3].

---

[1] الغرناطي، **البرهان فى تناسب سور القرآن**، ص 300.

[2] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج17، ص378.

[3] ينظر: الغماري، **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، ص96، ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص142- 143.

د- أوضح الدكتور السامرائي أن الله ﷻ وصف نفسه في آخر سورة الشورى بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:51]، ووصف القرآن الكريم في أوائل سورة الزخرف بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الزخرف:4]، فالقرآن عَلِيٌّ حكيم؛ لأن الذي أوحاه عَلِيٌّ حكيم[1].

هـ- قال الدكتور السامرائي: "قال عزّ وجل في خاتمة سورة الشورى: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[الشورى:53]، وقال في أول سورة الزخرف: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الزخرف:9]، وربنا ﷻ خلق السماوات والأرض وله ما فيهما وإليه وحده تصير الأمور"[2].

دراسة أقوال المفسرين:

من يدقق النظر في أقوال المفسرين عن التناسب بين خاتمة سورة (الشورى)، وفاتحة سورة (الزخرف) يجد أنها دارت حول مسألتين مهمتين:

الأولى: تتعلَّق بمن أنزل هذا الكتاب المعجز، حيث أشار الإمام الغرناطي إلى أن الرابط بين السورتين واضح في حديث السابقة عن القرآن، وبيان اللاحقة لسعة عفو الله ﷻ ورحمته بهم، بعدم إمساكه القرآن عنهم إعراضًا؛ حتى لا يتجاوزوا الحد في الإسراف والبعد عن الله.

الثانية: تتعلَّق بمكانة القرآن الكريم كما أوضح ذلك الإمام البقاعي في النظم، حيث ذكر أن أواخر الشورى وصفت القرآن، وفي بدايات الزخرف جاء القسم على عظمته، وتناول الشيخ الغماري

---

[1] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص142- 143.

[2] ينظر: **المرجع السابق**.

هذه الفكرة الرابطة بين الختام والمفتتح، مؤكدًا على أن السورتين بينتا قيمة هذا الكتاب، الذي هو النور والهداية، فقد نزل بلغة يعقلها أهلها، ويفهموا ما جاء به من تشريعات.

الثالثة: في الجانب العقدي حيث ربط الدكتور السامرائي بينهما برابطين: الأول: في الوصف، حيث وصفت الأولى الله ﷻ أنه عليٌّ حكيم، وأكدت الثانية أن كتابه أيضًا نال الوصف نفسه، والثاني: في كمال القدرة الإلهية، حيث نسبت السابقة لله ﷻ صفة الملك المطلق، وأكدت اللاحقة أن المَلك هو الخالق للهذا الكون الفسيح، الذي تصير إليه أمور الخلائق يوم القيامة، وكلها وجوه لها وجاهتها؛ إلا أن هناك وجوهًا أخرى لم يذكرها المفسرون.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

أولاً: لما ذكر الله ﷻ في خاتمة سورة (الشورى) قوله: ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ مؤكداً قدرته على الخلق حسب مشيئته، وأعقب ذلك بقوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ* أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ﴾[الشورى:49–50]، ناسب أن يذكر العموم بقوله: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾[الزخرف:12]، في فاتحة سورة الزخرف.

ثانيًا: قال تعالى في أواخر سورة الشورى عن أنواع الوحي الثلاثة: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾[الشورى:51]، ناسب أن يؤكد في أوائل سورة الزخرف تقرير عن كثرة إرسال الرسل، حيث قال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[الزخرف:6].

المبحث الثالث: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الدخان وخاتمة سورة الزخرف

خاتمة سورة الزخرف:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ* سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ* فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ* وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ* وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ* وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ* وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ* وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ* فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:81– 89]

فاتحة سورة الدخان:

قال الله تعالى﴿حمٓ* وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ* إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ* فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ* أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ* رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ* رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ* لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ* بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ* فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ* يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ* رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ* أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ* ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ* إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ* يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:1 –16]

المطلب الأول: التعريف بسورة الدخان:

سورة الدخان هي السورة الثالثة والستون في النزول، نزلت بعد سورة الزخرف وقبل سورة الجاثية[1]، وهي مكية عند جماهير المفسرين[2]؛ لهذا قال الإمام ابن عطية: "لا أحفظ خلافًا في شيء منها"[3].

سمّيت سورة الدّخان بهذا الاسم؛ لأنه تم ذكر لفظ الدخان فيها من ضمن التهديد والوعيد للمشركين، كما في قوله تعالى فيها: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾[الدخان:10][4].

مقصود سورة الدخان:

قصدت السورة الكريمة ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتثبيت دعائم الإيمان، فكان محورها يدور حول التوحيد والبعث والرسالة بشكل عام، وقصدت أيضًا التهديد والإنذار بالهلكة لكل من لم يقبل ما في الذكر الحكيم من الخير والبركة[5].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الدخان، وخاتمة سورة الزخرف ودراستها.

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج25، ص 276.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج7، ص225؛ وينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج4، ص172؛ وينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج4، ص87.

[3] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص68.

[4] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج25، ص202.

[5] ينظر: مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، ج7، ص143؛ وينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص471.

أ- أشار الإمام الغرناطي أن الله تعالى لما ذكر في سورة الزخرف بعض خصائص القرآن الكريم بدءً من قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾[الزخرف:44]، وما يتعلق بهذا الكلام إلى آخر السورة، ناسب أن يستفتح سورة الدخان بما يكمل ذلك الغرض، وهو التعريف بوقت إنزال القرآن إلى السماء الدنيا، فقال سبحانه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان:3][1].

ب- ذكر الإمام أبو حيان أن الله تعالى لما هددهم وتوعدهم في خاتمة سورة الزخرف قائلاً: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف:83] ، حيث ذكر يومًا غير معيّنٍ ولا موصوفٍ، ناسب أن يبين وصف هذا اليوم في سورة الدّخان قائلاً: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾[الدخان:10]، فيحل عليهم عذاب الدنيا بالجدب والقحط وانقطاع المطر، وفي الآخرة يكون يوم القيامة هو يومهم الذي كانوا يوعدون به[2].

ج- بين الإمام الآلوسي وجه التناسب في المقابلة فيما قاله النّبي ﷺ لقومه وما قاله نبي الله موسى -عليه السّلام- لقوم فرعون، حيث قال النّبي ﷺ في سورة الزخرف: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزخرف:88] ، فطلب منه ربه ﷻ أن يعفو عنهم، قائلاً له: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:89]، وحكى الله عن موسى -عليه السلام- في سورة الدخان: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ﴾[الدخان:22]، وقال موسى: ﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ*وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾[الدخان:20-21]، والتّشابه واضح في الموقفين[3].

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص301- 302.

[2] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص396؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج25، ص202؛ وينظر المراغي، **تفسير المراغي**، ج25، ص118.

[3] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج13، ص109؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج25، ص202؛ وينظر المراغي، **تفسير المراغي**، ج25، ص118؛ وينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص145.

د- قاله الشيخ الغماري: "إن الله ﷻ ذكر في السورة السابقة شكوى نبيه من عدم إيمان قومه، وأمره بالصفح عنهم، وهددهم بأنهم سوف يعلمون ما يحصل لهم من العذاب، كما في قوله سبحانه: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ* فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:88-89]، فناسب أن يبين في مفتتح سورة الدخان نوع العذاب الذي توعدهم به، قائلاً: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ* يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[الدخان:10-11]"[1].

هـ- أشار الدكتور السامرائي إلى وجهين من التناسب[2]:

الأول: بيَّن في الأول أن الله تعالى قال في خواتم سورة الزخرف: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف:82]، فناسب أن يذكر في أوائل سورة الدخان: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الدخان:7].

الثاني: أشار في الثاني أن الله -تعالى- لما قال في أواخر سورة الزخرف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾. [الزخرف:84]،ناسب أن يقول في أوائل سورة الدخان: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[الدخان:8]، فالذي هو في السماء إله وفي الأرض إله لا إله إلا هو، فاتصل الموضعان وتناسبا.

دراسة أقوال المفسرين:

من يتأمل أقوال المفسرين في التناسب بين خاتمة سورة الزخرف، وفاتحة سورة الدخان يجد أنها دارت حول عدة قضايا:

---

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص97.

[2] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص144.

الأولى: تتعلق بالقرآن الكريم، حيث تحدثت سورة الزخرف عن أهمية ومكانة القرآن الكريم، وكان مفتتح سورة الدخان عن وقت نزوله، وهو وجه جيد.

الثانية: تتعلَّق بتهديد الله تعالى ووعيده في السابقة، والتأكيد على ذلك بالإنذار الشديد في مفتتح اللاحقة، وهذا الوجه ذهب إليه أبو حيان وجمع من المفسرين المُحدَثِين، كما ذهب إليه أيضًا الشيخ الغماري، لكنه ذكر سبب التهديد في سورة الزخرف شكوى النبي ﷺ من عدم إيمان قومه، وبيَّن أن سر التناسب هو بيان نوع العذاب في اللاحقة، وكل هذا تكرار لما ذكره الإمام أبو حيان.

الثالثة: تتعلق بموقف نبيين كريمين من دعوة قومهما، وهذا ما ذهب إليه الإمام الآلوسي، ونقله عنه عدد من المفسرين المحدثين.

الرابعة: تتعلق بربوبية الله تعالى وألوهيته، وطلاقة قدرته، وهذا واضح في التناسب الذي ذهب إليه الدكتور السامرائي، والوجوه الأربع مقبولة، ولها وجاهتها.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

أولاً: لما ذكر سبحانه في خاتمة سورة الزخرف نداء الكافرين واستغاثتهم في قوله: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[الزخرف:77]، وذلك بعد ما عاينوا من عذاب جهنم، ناسب أن يذكر موقفًا من استغاثتهم في الحياة الدنيا في قوله: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾[الدخان:12].

ثانيًا: لما وُصِف الله تعالى بالعلم في آخر سورة الزخرف كما في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الزخرف:84]، ناسب أن يوصف بالعلم أيضًا في مفتتح سورة الدخان بقوله تعالى: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الدخان:6].

المبحث الرابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الجاثية وخاتمة سورة الدخان:

خاتمة سورة الدخان:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ* مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ* إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ* يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ* إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ* إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ* طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ* كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ* كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ* ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ* ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ* إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ* إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ* فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ* يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ* كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ* يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ* لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ* فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ* فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ [الدخان:38-59]

فاتحة سورة الجاثية:

قال الله تعالى: ﴿حمٓ* تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ* إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ* وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ* وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ* وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ* يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ* مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية:1-11]

المطلب الأول: التعريف بسورة الجاثية:

سورة الجاثية هي السورة الرابعة والستون في ترتيب نزول السور، حيث نزلت بعد سورة الدخان وقبل الأحقاف[1]، وهي مكية عند جمهور المفسرين[2]، وذكر الإمام ابن عطية أنه لا خلاف في مكيتها[3].

وسميت سورة الجاثية بهذا الاسم؛ لوروده فيها، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾[الجاثية:28][4]، وتسمّى أيضًا سورة الشريعة؛ لأن آياتها تضمنت نسخ شريعة الإسلام لسائر الشرائع[5]، ومن مسمياتها سورة الدهر لوقوع قوله تعالى:﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[الجاثية:24] فيها[6].

مقصود سورة الجاثية:

قصدت السورة ترسيخ عقيدة الإيمان بالبعث والحساب، من خلال مشاهد اليوم الآخر، ثم عالجت قضية الصبر الذي تحلَّى به النبي ﷺ أمام عناد قومه[7].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج25، ص324.

[2] ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج4، ص94.

[3] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص79.

[4] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج25، ص246.

[5] ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج8، ص425.

[6] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج25، ص323.

[7] ينظر: مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، ج7، ص160.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الجاثية، وخاتمة سورة الدخان ودراستها.

أ- أشار الإمام البقاعي أن الله تعالى لما ختم سورة الدخان بالتذكير بأن القرآن الكريم نزل بلسان أعلى الخلق، وهذا من باب التيسير، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[الدخان:58]، ناسب أن يبدأ سورة الجاثية بأنه زاد ذلك يسرًا وسهولة، عن طريق التقرير بإنزال القرآن مفرقًا بحسب الوقائع، فقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[الجاثية:2][1].

ب- قال الدكتور السامرائي: "لما ذكر الله -عزّ وجل- في خاتمة سورة الدخان قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[الدخان:58]، ناسب أن يذكر في أوائل سورة الجاثية طرفًا مما يدعو إلى التذكُّر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ* وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ* وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴾[الجاثية:3- 6]، فكلا الموضعين مدعاة إلى التذكر والإيمان، فما ذكره في سورة الجاثية يدعو إلى ما ذكره في سورة الدخان"[2].

---

[1] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج18، 59؛ ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص412؛ والغماري، **جواهر البيان**، ص98؛ والمراغي، **تفسير المراغي**، ج25، ص140؛ والزحيلي، **التفسير المنير**، ج25، ص247؛ والسامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص145.

[2] السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص146.

دراسة أقوال المفسرين:

من دراسة أقوال المفسرين في التناسب بين خاتمة سورة الدخان، وفاتحة سورة الجاثية تبين أنها دارت حول قضيتين:

الأولى: تتعلَّق بالقرآن الكريم، بين لغته اليسيرة السهلة، التي هي لغة النبي ﷺ وسائر العرب، وبين إنزاله منجمًا لحِكم كثيرة، أهمها تيسر حفظه وفهم مراد الله ﷻ منه، بيد أن الإمام البقاعي لم ينص على آية ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[الدخان:58]، لكنه أشار إلى معناها، وكذلك كثير من المفسرين الذين رأوا أن هذا أحد وجوه التناسب، بينما أشار إليها البعض الآخر، بين الاختصار والزيادة التي لا تخرج عن المعنى الذي ذهب إليه الإمام البقاعي.

الثانية: تتعلَّق بالدعوة إلى التذكر وطرائق تحصيله، فما دعا إليه مجملاً في آخر الدخان، فصَّله في أوائل سورة الجاثية.

وقد ظهرت لي وجوه في المناسبة:

أولاً: لما ذكر تعالى في خاتمة سورة الدخان عقوبة الأثيم كما في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ* طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان:43–44]، ناسب أن يذكر في فاتحة سورة (الجاثية) طرفًا من وصفه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ* يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية:7–9].

ثانياً: لما ذكر تعالى في ختام السابقة قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ* مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان:38–39]، ناسب أن يذكر في بدايات اللاحقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ* وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ* وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ

ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ* تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٖۢ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾

[الجاثية:3–6]، مؤكدًا على أن خلق السماوات والأرض حق لا مِرَاء فيه.

المبحث الخامس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الأحقاف وخاتمة سورة الجاثية

خاتمة سورة الجاثية:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ* وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ* هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ* فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ* وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ* وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ* وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ* وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ* ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ* فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ* وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية:27-37].

فاتحة سورة الأحقاف:

قال الله تعالى: ﴿حمٓ* تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ* مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ* قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ* وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ* وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ* وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ* أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۦۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ* قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف:1-9].

المطلب الأول: التعريف بسورة الأحقاف:

سورة الأحقاف هي السورة الخامسة والستون في ترتيب النزول، حيث نزلت بعد الجاثية وقبل الذاريات[1]، ونقل الإمام القرطبي الإجماع على مكيتها[2]، وذكر جمعٌ من المفسرين أنها مكية، منهم الإمام الثعلبي وغيره[3].

وسميت سورة الأحقاف بهذا الاسم؛ لورود كلمة الأحقاف فيها دون غيرها من سور القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ [الأحقاف:21][4]، والمشهور أن الأحقاف اسم جبل ذا رمل مستطيل في اليمن، كانت منازل قوم عاد حوله[5].

مقصود سورة الأحقاف: قصدت السورة الكريمة ترسيخ أصول الإيمان الثلاثة (وحدانية الله تعالى، والوحي، واليوم الآخر، كما أنها أنذرت الكافرين بإثبات صدق الوعد في قيام الساعة[6].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الأحقاف، وخاتمة سورة الجاثية ودراستها.

أ- ذكر الإمام أبو حيان، أن الله تعالى لما وصف الكافرين في آخر الجاثية بقوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾ [الجاثية:35]، ظنًّا منهم أن محمدًا ﷺ اختلقها، ناسب أن يبين تعالى في

---

(1) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج26، ص6.

(2) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج16، ص178.

(3) ينظر: الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج9، ص5؛ والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج28، ص5؛ وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج7، ص252؛ والبيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج5، ص111.

(4) ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج26، ص5.

(5) ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج5، ص341.

(6) ينظر: مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، ج7، ص177؛ وينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص481.

صدر سورة الأحقاف مصدر هذه الآيات، قائلاً: ﴿حمٓ* تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الأحقاف:1-2][1].

ب- أضاف الإمام أبو حيان أن سورة الجاثية ختمت باتصاف الله تعالى بصفتي ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ فناسب أن تفتتح سورة الأحقاف بهما أيضاً[2].

ج- قال الإمام الآلوسي عن سورة الأحقاف: "لما ختم الله ﷻ السورة التي قبلها بذكر التوحيد وذم أهل الشرك وتوعدهم عليه، افتتح هذه بالتوحيد، ثم بالتوبيخ لأهل الكفر من العبيد، فقال عز وجلّ: ﴿حمٓ* تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الأحقاف:1-2]"[3].

د- ذكر الدكتور السامرائي جملة من أوجه التناسب، وبيانها كالتالي[4]:

الأول: إن قوله سبحانه في الجاثية ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الجاثية:35]، يناسب قوله في الأحقاف: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾[الأحقاف:3].

الثاني: قوله في الجاثية: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الجاثية:36]، يناسبه في الأحقاف: ﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الأحقاف:3].

---

[1] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص431.

[2] ينظر: **المرجع السابق**؛ وينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص99.

[3] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج13، ص161- 162؛ ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج26، ص3؛ والزحيلي، **التفسير المنير**، ج26، ص6؛ والسامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص147.

[4] **المرجع السابق**.

الثالث: قوله في الجاثية: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[الجاثية:37]، يناسبه قوله في الأحقاف: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ﴾ [الأحقاف:4].

دراسة أقوال المفسرين:

دارت أقوال حول مجموعة من القضايا:

الأولى: تتعلَّق بالقرآن الكريم وموقف الكفار منه في السابقة، والتأكيد على أنه من عند العزيز الحكيم في اللاحقة، وهو توجيه جيد، إلا أن الإمام أبا حيان ذكر مسألة زعمهم اختلاق النبي ﷺ للقرآن، وهي لم ترد في آيات سورة الجاثية، وهذه إضافة في الربط لا محل لها.

الثانية: تتعلَّق بالعقيدة، حيث ربط الإمام الآلوسي بين السورتين في الختام والبدء بالحديث عن التوحيد، وموقف المشركين والكافرين منه، ومصيرهم المحتوم، إلا أنه لم ينص على موطن الشاهد من الآيات، وحين ساق آيات سورة الأحقاف اكتفى بمطلعها فقط.

الثالثة: تتعلق بسرد الدكتور السامرائي للآيات التي يجمعها رابط بين الختام والبدء، وهو تناسب جميل، بيد أنه لم يوضح توجيهه، فقد ذكر أن آية كذا المذكورة في ختام السورة تتناسب مع آية كذا المذكورة في بداية الأحقاف فقط، وأحياناً يذكره من باب التكرار اللفظي، كتكرار لفظ السماوات والأرض في السورتين، ومع هذا كله فهي وجوه لها قدر في التناسب محتمل.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

أولاً: لما ذكر سبحانه في خاتمة سورة الجاثية جثو الأمم وتجمعهم في ساحة العرض بين يدي الجبار؛ لتجزى كل نفس بما كسبت، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[الجاثية:28]، ناسب أن يفتتح صدر سورة الأحقاف بواحد من

مشاهد التبرؤ في ساحة العرض، حيث يتبرأ كل معبود بمن عبده، وتنقلب المحبة إلى عداوة، فقال تعالى:﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾[الأحقاف:6].

ثانيًا: لما قال تعالى في ختام سورة الجاثية: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾[الجاثية:32]، مؤكدًا أن موعود الله ﷻ بقيام الساعة سيتحقق، لكن الكفار ما أيقنوا بذلك، فناسب أن يذكر في بداية الأحقاف وصفًا لهم بأنهم ضُلَّال وغافلين عن رؤية الحق بسبب عبادتهم للأصنام، فقال تعالى:﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾[الأحقاف:5].

المبحث السادس: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة محمد وخاتمة سورة الأحقاف

خاتمة سورة الأحقاف:

قال الله تعالى:﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ* قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ* يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ* وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ* أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ* وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ* فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۢۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:29-35].

فاتحة سورة محمد:

قال الله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ* وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ* ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ* فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ* سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ* وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ* وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ* ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[محمد:1-9].

المطلب الأول: التعريف بسورة محمد:

سورة محمد هي السورة السادسة والتسعون في ترتيب نزول سور القرآن، حيث نزلت بعد سورة الحديد وقبل سورة الرعد[1]، وهي مدنية عند أكثر أهل العلم[2]، ونقل الإمام ابن عطية الإجماع على مدنيتها[3].

وسميت سورة محمد؛ "لما فيها من أن الإيمان بما نزل على محمد متفرقا، أعظم من الإيمان بما نزل مجموعًا على سائر الأنبياء –عليهم السلام–، وهو من أعظم مقاصد القرآن"[4]، وسميت سورة القتال؛ ذلك لأنها تضمنت مشروعية القتال، ثم ذُكر فيها لفظ القتال، قال تعالى: ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾ [محمد:20][5].

مقصود سورة محمد تعريف المؤمنين بأعداء الدين، والدفاع عنه بإدامة مجاهدة الكفار، وكذلك بيان الصراع المحتدم بين الحق والباطل، فتارة يكون ظاهرًا، ويصل إلى ذروته بالقتال، كما حدث مع الكفار، وتارة يكون خفيًّا، يدبره المنافقون من وراء ستار الإيمان[6].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج26، ص71.

[2] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج7، ص283؛ والثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج9، ص28؛ والبغوي، **معالم التنزيل**، ج4، ص208؛ والزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص314.

[3] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص109.

[4] القاسمي، **محاسن التأويل**، ج8، ص463.

[5] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج26، ص71.

[6] ينظر: مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، ج7، ص228؛ وينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص487.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة محمد، وخاتمة سورة الأحقاف ودراستها.

أ- ذكر الإمام الرازي: أن الله ﷻ لما ذكر في ختام سورة الأحقاف قوله: ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:35]، كأنه قيل: كيف يهلك الفاسق وقد عمل أعمالاً صالحة؟ ناسب أن يفتتح سورة محمد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[محمد:1]، أي: بسبب كفرهم ومنعهم الناس عن الإيمان، أبطل الله ثواب أعمالهم، والتي منها صلة الأرحام، وإطعام الطعام، وعمارة المسجد الحرام[1]، وذكر الإمام السيوطي أن وجه الارتباط بين أول سورة محمد بآخر سورة الأحقاف متصل ومتلاحم، بحيث لو أُسقطت بينهما البسملة لكانا اتصالهما واحدًا، لا تنافر فيه كالآية الواحدة، آخذًا بعضه بعنق بعض[2].

ب- أشار الشيخ الغماري من أن سورة الأحقاف خُتمت ببيان إسراع الجن إلى طاعة الله سبحانه عندما سمعوا القرآن، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ* قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأحقاف:29-30]، فناسب أن يذكر في بدايات سورة محمد حال الإنس ممن لم يفقه القرآن، ولم يفهم معناه من الكافرين، فقال تعالى:

---

[1] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج28، ص32؛ الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص307؛ وينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص128؛ والسيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص131؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج13، ص193؛ وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج26، ص43؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج26، ص75؛ وينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص149.

[2] ينظر: السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص131؛ وينظر: الهرري: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1421هـ-2001م) ج27، ص120.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾[محمد:16] [1].

ج- ذكر الدكتور السامرائي في الختام والبدء ثلاث مناسبات[2]:

الأولى: لما قال تعالى في خواتم سورة الأحقاف: ﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[الأحقاف:32]،ناسب أن يفتتح سورة محمد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[محمد:1]، ومن كان في ضلال مبين فقد ضل عمله.

الثانية: لما ذكر تعالى في أواخر سورة الأحقاف قول الجن عن القرآن إنه ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الأحقاف:30]، ناسب أن يذكر في مفتتح سورة محمد أن القرآن حق، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾[محمد:2].

الثالثة: لما ذكر سبحانه في خواتم سورة الأحقاف: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[الأحقاف:31]،ناسب أن يذكر في سورة محمد جزاءً من استجاب للدعوة، فقال تعالى: ﴿كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾[محمد:2].

دراسة أقوال المفسرين

يتبين من أقوال المفسرين عدة أمور: الأول: أن الوجه الذي ذهب إليه الإمام الرازي وجمع من المفسرين فيه بيان أن الفسق يعد خروجًا عن طاعة الله، ولهذا حبطت أعمال الفساق، وكان عقابهم

---

[1] ينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص100.

[2] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص148، 149.

في الهلاك، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الكافر مهما عمل من الصالحات فلن يتقبل الله عمله، والهلاك في هذه الحالة أوجب، فكان هذا الوجه في التناسب أبين.

الثاني: الوجه الذي رآه الشيخ الغماري يتعلق بسرعة استجابة المهتدين للقرآن الكريم، حيث عقد مقارنة بين الجن وسرعة استجابتهم إلى طاعة الله تعالى بعد سماعهم القرآن، وبين الكفار الذين أعرضوا عن الحق وآذوا رسول الله ﷺ؛ نظرًا لجهلهم وعنادهم وتكبرهم، لكنه قال في مناسبته: "والمناسبة في هذا بيان ما بين جنس الجن والإنس من تباين، وأن الجن أسرع إلى الطاعة من الإنس"[1]، فجعل مسألة الإسراع إلى الطاعة في العموم عند الجن أفضل من الإنس، ولا يخفى أن التباين بين نفرٍ من الجن وبعضٍ من الإنس على وجه الخصوص، لا العموم.

الثالث: أما وجوه التناسب التي رآها الدكتور السامرائي فتتعلّق بعدة أمور:

أولها: عقوبة الإعراض عن الهدى ومآلاته: فمن أعرض فإعراضه ضلال واضح، ومن كان حاله هكذا، فقد ضل عمله، وثانيها: تأثير القرآن الكريم، وهدايته إلى الحق في السابقة، والتأكيد على أنه حق من عند الله تعالى في اللاحقة، وثالثها: ملحقات الجزاء على الاستجابة لداعي الله، إذ لما ذكر في الأحقاف مغفرة الذنوب والنجاة من النار، ناسب أن يغاير في الجزاء في سورة محمد فذكر تكفير السيئات، وصلاح البال، ولم يشر الإمام السامرائي إلى أن غفران الذنب يختلف عن تكفير السيئة، فالأول يكون إذا كان الذنب في حق الله تعالى، أما التكفير يحصل إذا كان في حق الناس.

---

[1] الغماري، **جواهر البيان**، ص100.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

أولاً: لما ذكر سبحانه وتعالى أُولي العزم من الرسل وصبرهم على أذى أقوامهم، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتحلى بالصبر مثلهم فقال في خاتمة سورة الأحقاف قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف:35]، ناسب أن يهدد كفار قريش بما حلّ للأمم السابقة لما كذبوا رسلهم بقوله في مفتتح سورة محمد: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾[محمد:10]، وفيها تسلية للنبي ﷺ.

ثانياً: لما ختمت سورة الأحقاف ببيان مصير أهل الإيمان ونجاتهم من الناربقوله: ﴿وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[الأحقاف:31]، ومصير أهل الكفر بقوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾[الأحقاف:34]، ناسب أن تُفتَتَح سورة محمد بذكر السبب في مصير الفريقين، حيث قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ [محمد:3].

المبحث السابع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الفتح وخاتمة سورة محمد

خاتمة سورة محمد:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ* إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ* فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ* إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ* إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ* هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد:33–38].

فاتحة سورة الفتح:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا* لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا* وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا* هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا* لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا* وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا* وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا* إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا* لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا* إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الفتح:1–10].

المطلب الأول: التعريف بسورة الفتح:

سورة الفتح هي السورة الثالثة عشر بعد المائة في ترتيب النزول، حيث نزلت بعد سورة الصفّ وقبل سورة التوبة، ونزولها سنة ست بعد الهجرة، مُنصرَف النبي ﷺ من الحديبية، وقبْل غزوة خيبر [1]، وهي من السور المدنية[2]، ونقل الإمام القرطبي الإجماع على مدنيتها[3].

وسر تسميتها بسورة الفتح؛ فلأنها افتتحت ببشرى الفتح المبين، ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ [الفتح:1][4].

مقصود سورة الفتح:

قصدت السورة الكريمة بشارة الرسول ﷺ، وتحقيق الوعد الإلهي بالفتح المبين، والتمكين لنبيه ﷺ وللمؤمنين الصادقين ونصرتهم، وإيعاد المنافقين بعذاب الجحيم[5].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة (الفتح)، وخاتمة سورة (محمد) ودراستها.

أ- يرى الإمام الرازي في التناسب بينهما وجهين:

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج26، ص141-142.

[2] ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج4، ص221؛ وينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج5، ص126؛ وينظر: الثعالبي، **الجواهر الحسان**، ج5، ص248؛ وينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص331؛ وينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ج5، ص52.

[3] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج16، ص259.

[4] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج26، ص142.

[5] الفيروز آبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج1، ص 432؛ وينظر: السريح، **معالم السور**، ص275.

الأول: ما ذكره، من أن الله ﷻ لما قال في آخر سورة محمد: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [محمد:38]، ناسب أن يبيّن لهم سبحانه في بداية سورة الفتح أنه فتح لهم مكة، وما فيها من الغنائم التي حصلوا عليها، وهي تفوق أضعاف ما أنفقوه، ولو بخلوا لضاعت عنهم هذه الفوائد[1].

الثاني: أن الله سبحانه لما ذكر في أواخر سورة محمد قوله: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد:35]، داعيًا المسلمين ألا يضعفوا ولا يدعوا الكفار إلى الصلح ابتداءً، وبشرهم بالنصر والمعونة، ناسب أن يبين في أوائل سورة الفتح تحقيق موعود الله ﷻ بفتح مكة، وإسلام صناديدها، وكان المسلمون هم الأعلون[2].

ب- أشار الإمام أبو حيان إلى أنه لما خُتمت سورة محمد بخطاب كفار قريش بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾] محمد:38]، ناسب أن يخبر الله -تعالى- رسوله ﷺ في صدر سورة الفتح بما يتحقق به الاستبدال، وهو فتح مكة، التي جعلها الله دار إيمان يأمن كل من فيها[3].

ج- قال الدكتور السامرائي: "قال تعالى في أواخر سورة محمد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [محمد:34]، وقال في أوائل سورة الفتح: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ

---

[1] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 28، ص65؛ وينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص144.

[2] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 28، ص65؛ وينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص144؛ ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص149.

[3] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص482؛ ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج13، ص238؛ ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص149.

عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح:6]، والذين لا يغفر الله لهم يعذبهم فكأنهما آيتان متتاليتان"[1].

د- وقال أيضاً: في قوله تعالى في أواخر سورة محمد: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد:31]، ناسب أن يكون سياق سورة الفتح في الجهاد والمبايعة عليه، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الفتح:4][2].

دراسة أقوال المفسرين:

دارت أوجه المناسبات حول جملة من المعاني، وهي كالتالي:

الأول: أن الجزاء من جنس العمل، فما ذهب إليه الإمام الرازي وتابعه فيه الإمام النيسابوري يؤكد هذا المعنى، كما يبين أن علاقة الترابط بين السورتين في ختام السابقة، وبداية اللاحقة تظهر في مضاعفة الله تعالى الأجر على الخير بكثرة العطاء من النوع نفسه، أما السيئات فتكون عقوبتها بالخذلان والحرمان، وهذا الوجه واضح في الآيات ومقبول.

الثاني: الدعوة إلى ثبات المؤمنين على الحق، وافتخارهم بما هم عليه وعدم خنوعهم لأهل الباطل، حتى وإن كانوا أقاربهم، كان ذلك من أهم أسباب النصر، المتمثل في الفتح، وقد أجاد الإمام الرازي في الإشارة إلى هذا المعنى.

الثالث: تحقيق ما وعد به الله ﷻ في حالة التولّي والإعراض بالاستبدال، كما أشار إليه الإمام أبو حيان في التناسب، وهو واضح أيضًا في بدايات سورة الفتح، ومقبول لما يحمله من البشارة.

---

[1] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص149.

[2] **المرجع السابق**.

الرابع: الأعمال التي تمنع من المغفرة، وتستجلب غضب الله تعالى وعذابه، وهي الكفر والنفاق والشرك، كما أشار إلى ذلك الدكتور السامرائي في التناسب بين ختام سورة محمد وأوائل سورة الفتح، وهو موفق في هذا الاختيار، كما أن التناسب واضح في قضية الجهاد والمبايعة.

وقد ظهرت لي وجوه في المناسبة:

أولاً: لما ذكر سبحانه في خاتمة سورة محمد حقارة الدنيا وهوانها في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد:36]، ناسب أن يذكر في فاتحة سورة الفتح طرفاً مما أُعد للمؤمنين في الآخرة، فقال تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:5].

ثانيًا: لما ختمت سورة محمد ببيان كمال الإيمان المتولّد من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾،[محمد:33]، ناسب أن يذكر في بدايات سورة الفتح بيعة المؤمنين على هذا الإيمان، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح:10].

الثالث: لما ذكر الله تعالى في خواتم سورة محمد حقيقة النفاق والمنافقين بقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾، [محمد:29]، ناسب أن يذكر في بدايات سورة الفتح طرفاً من هذه الحقيقة، فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِم﴾ [الفتح:11].

المبحث الثامن: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة الحجرات وخاتمة سورة الفتح

خاتمة سورة الفتح:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا* لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا* هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا* مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:26-29].

فاتحة سورة الفتح:

قال الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ* إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ* إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ* وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ* وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ* فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات:1-8].

المطلب الأول: التعريف بسورة الحجرات:

سورة الحجرات هي السورة الثامنة بعد المائة في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة المجادلة، وقبل سورة التحريم[1]، وهي مدنية[2]، وقد نقل الإمام القرطبي والإمام ابن عطية الإجماع على مدنيتها عند أهل التأويل[3].

وسميت سورة الحجرات بهذا الاسم؛ لورود هذا اللفظ فيها، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات:4]، وهي حجرات (بيوت) أزواج النبي ﷺ، وتسمى أيضا سورة الأخلاق والآداب؛ لأنها تدعو المجتمع الإسلامي إلى التحلي ببعض الآداب[4].

مقصود سورة الحجرات: وضع معالم كاملة وأصيلة لبناء عالم طاهر ونقي، وتقديم صورة مثالية يُبنى على أساسها المجتمع الإسلامي، وفق منهج رباني، حتى يكون مجتمعًا تسوده المحبة، ويثبت أمام عواصف الفتن بالقوة والتماسك والإخاء، وتعلو هذه الصور توقير النبي ﷺ والأدب معه[5].

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة الحجرات، وخاتمة سورة الفتح ودراستها.

أ- يرى الإمام الرازي في التناسب بينهما وجهين:

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج26، ص213.

[2] ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج4، ص251؛ وينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص349، وينظر: الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج9، ص69؛ وينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج4، ص141.

[3] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج16، ص300؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص144.

[4] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج26، ص211.

[5] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3336، وينظر: مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، ج7، ص334؛ وينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص5، 6.

الأول: أن الله ﷻ لما ذكر في خواتم سورة الفتح قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[الفتح:26]، التي تبين امتناع الكفار في صلح الحديبية عن كتابة التسمية ووصف الرسول ﷺ بالرسالة، فأنزل الله الطمأنينة على الرسول والمؤمنين، وألزمهم كلمة التقوى، فناسب أن يفتتح سورة الحجرات بالتنبيه على المؤمنين ألا يتجاوزوا ما يأمر به ﷺ، قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾[الحجرات:1][1].

الثاني: أن الله ﷻ لما وصف المؤمنين في ختام الفتح بكونهم أشداء على الكفار ورحماء فيما بينهم راكعين ساجدين، وأثنى عليهم في الكتب المتقدمة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح:29]، وهذا دليل عظيم مكانتهم عند الله ﷻ؛ لهذا وعدهم بالأجر العظيم، فناسب أن ينهاهم في مفتتح سورة الحجرات عما يوجب انحطاط درجتهم، ويحبط حسناتهم[2].

ب- قال الإمام البقاعي عن التناسب بين ختام الفتح ومفتتح الحجرات: "لما ختم السابقة باسمه ﷺ، ومدح أتباعه لأجله، افتتح اللاحقة باشتراط الأدب معه في القول والفعل، للعدِّ من حزبه والفوز بقربه"[3].

ج- قال الإمام السيوطي: "إن السابقة ختمت بالذين آمنوا، وافتتحت هذه بهم"[4].

---

[1] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج28، ص95.

[2] ينظر: **المرجع السابق**، ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص312.

[3] البقاعي، **نظم الدرر**، ج18، ص350؛ ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج9، ص506؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج13، ص284؛ وينظر: الغماري، **جواهر البيان**، ص104؛ السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص150-151.

[4] السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص 132؛ ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج13، ص284؛ والمراغي، **تفسير المراغي**، ج26، ص119؛ والزحيلي، **التفسير المنير**، ج26، ص212؛ والسامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص151؛ وينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج27، ص331.

د- ذكر الدكتور السامرائي في التناسب بين السورتين وجهين[1].

الأول: أن الله ﷻ لما قال في خاتمة سورة الفتح: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:29]، ناسب أن يقول في أوائل سورة الحجرات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات:3]، فكلتا الآيتين في الصحابة الكرام، الذين وعدهم الله بالمغفرة والأجر العظيم.

الثاني: أن خاتمة سورة الفتح تعلم المسلمين كيفية التعامل مع النبي ﷺ ومع أنفسهم حال الحرب، ومفتتح الحجرات تعلمهم كيفية التعامل حال السلم.

دراسة أقوال المفسرين:

مع مناقشة أقوال المفسرين في التناسب يتبين عدة أمور:

الأول: الأدب مع جناب النبي ﷺ، حيث ذكر الرازي أن السابقة بينت سوء أدب الكافرين مع النبيﷺ في صلح الحديبية، فناسب أن توجب اللاحقة على المؤمنين مخالفة الكافرين، وإلزامهم الأدب مع النبيﷺ، وهو وجه مقبول.

الثاني: الثبات على رقي الأخلاق، لأن ختام الفتح وصف المؤمنين بصفات الجمال والكمال، وأثنت على ذكرهم في التوراة والإنجيل، وهذه مكانة سامية، يجب أن يبتعد أصحابها عما لا يليق بهم، فكان التوجيه لذلك في مفتتح سورة الحجرات، وهذا ما ذكره الإمام الرازي، وتابعه فيه الإمام الغرناطي، حيث تشابهت رؤاهم في هذا الوجه.

---

[4] ينظر: السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص150-151.

[1] ينظر: **المرجع السابق**.

الثالث: التكامل بين الختام والبدء، فقد ذكر الإمام البقاعي أن سورة الفتح مدحت النبي ﷺ والمؤمنين، لأنهم من حزبه ﷺ، ولكي يحافظوا على هذه المنزلة كان المناسب أن تفتتح سورة الحجرات باشتراط الأدب معه ﷺ، وهذا الوجه متشابه مع ذهب إليه كثير من المفسرين، وإن كنت أرى أنه متكرر مع قول الإمام الرازي والإمام الغرناطي.

الرابع: الحديث عن المؤمنين في المختتم والمفتتح، تذكيرا لهم بحرمتهم عند ربهم سبحانه، فقد وصفهم بالشدة على الأعداء والرحمة على الأولياء، ومما يستبقي هذه الأوصاف طاعتهم لله تعالى، ولرسوله ﷺ، فهو وجه رغم اختصاره، إلا أن الإمام السيوطي ومن تابعه من المفسرين قد وفقوا في اختياره.

الخامس: تحقيق الوعد، حيث إن ختام السابقة وبدايات اللاحقة نصًّا على مغفرة الذنب، وعِظَم الأجر، وهو وجه فيه ملمح جميل، قد أجاد فيه الدكتور السامرائي.

السادس: حسن التعامل في حالتي الحرب والسلم، هو ملمح يتناسب مع الختام والبدء، قد أحسن اختياره الدكتور السامرائي، لكن بوجه عام كل هذه الأوجه قريبة الشبه من بعضها؛ لأنها تدور حول تعظيم النبي ﷺ والتأدب معه في جميع الأحوال.

وقد ظهر لي وجه في المناسبة:

لما ذكر سبحانه في خاتمة سورة الفتح قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح:28]، مؤكدًا أنه ﷺ جاء بالبيان الواضح، والدين الحق، ليظهر به على كل الملل والأديان، وهذا وعد الله تعالى المتحقق، ناسب أن يذكر المسلمين بهذه الحقيقة، التي ينبغي ألا ينسوها، فذكر في بدايات سورة الحجرات قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾[الحجرات:7].

المبحث التاسع: بيان أوجه التناسب بين فاتحة سورة (ق) وخاتمة سورة الحجرات

خاتمة سورة الحجرات

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ* قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ* إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ* قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ* يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ* إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[الحجرات:13-18].

فاتحة سورة (ق):

قال الله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ* بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ* أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ* قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ* بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ* أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ* وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجُۢ بَهِيجٖ* تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ* وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ* وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ* رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق:1-11].

المطلب الأول: التعريف بسورة (ق):

سورة ق هي السورة الرابعة والثلاثون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة المرسلات، وقبل سورة البلد[1]، وهي مكية، إلا قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق:38]، فهذه الآية مدنية؛ لأنها نزلت في اليهود[2].

ومن أسمائها سورة الباسقات، وقد أورد هذا الاسم الإمام السيوطي في الإتقان[3]، ولعل السبب في ذلك هو قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [ق:10]، أما سبب تسميتها سورة (ق)، فلأنها افتتحت بهذا الحرف[4].

مقصود سورة (ق):

قال الإمام البقاعي" مقصودها تصديق النبي ﷺ في الرسالة التي معظمها الإنذار وأعظمه الإعلام بيوم الخروج" [5].

سورة (ق) كغيرها من السور المكية تؤكّد على وحدانيَّة الله –تعالى– وقدرته على البعث.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في التناسب بين فاتحة سورة (ق)، وخاتمة سورة (الحجرات) ودراستها.

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج26، ص274.

[2] ينظر: الشربيني: محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية، 1285هـ) ج4، 77؛ وينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج17، ص1؛ والآلوسي، **روح المعاني**، ج13، ص321.

[3] ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص 194.

[4] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج26، ص275.

[5] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص14.

أ- أشار إليه الإمام الغرناطي أن الله ﷻ أخبر في ختام سورة الحجرات عن إنعامه على الأعراب، حيث أرشدهم إلى الإيمان، وَوَفَّقَهم لقبول الدين واختياره، وذلك من باب تصحيح الأوضاع وإحقاق الحق، لأنهم كانوا يمنون على النبي ﷺ بإسلامهم، فقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمْ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:17]، فناسب أن يُذكِّر في بدايات سورة ق كل من جحد نعم الله تعالى بقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ* أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ* وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق:5-7]، والعلة في هذا التذكير هي تأدب المؤمن مع ربه سبحانه، وعلمه أن ما أصابه من الخير فإنما هو من إحسان ربه تعالى بعبده[1].

ب- ذكر الإمام أبو حيان: أن الله ﷻ لما أخبر عن الأعراب قولهم آمنا، ولم يكن إيمانهم حقًّا، وقد دل انتفاء إيمانهم على إنكار نبوة الرسول ﷺ وإنكار البعث أيضًا، ناسب أن يذكر في مفتتح سورة ق قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ق:2]، واصفًا إنكار المشركين لنبوة النبي ﷺ وللبعث، فكان الرد القاطع عليهم[2].

ج- ذكر الدكتور السامرائي مناسبتين:

الأولى: أن الله ﷻ لما ذكر في أواخر سورة الحجرات المؤمنين، قائلاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12]،ثم ذكر من أسلم ولم

---

[1] ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص314.

[2] ينظر: أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج9، ص528؛ ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج13، ص321؛ وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج26، ص150؛ وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج26، ص275؛ وينظر: الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان**، ج27، ص417.

يدخل الإيمان قلبه، بقوله: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾[الحجرات:14]، وهذان الصنفان من المكلفين، فناسب أن يذكر الصنف الثالث من المكلفين ممن كفر وكذَّب بالحق في أوائل سورة ق، قائلاً: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ* أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ* قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ* بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾[ق:2-5][1].

الثانية: "لما قال تعالى في أواخر سورة الحجرات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحجرات:18]، ناسب أن يقول في أوائل سورة (ق): ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾[ق:4]؛ لأن الآيتين في بالغ علم الله سبحانه"[2].

دراسة أقوال المفسرين:

ورد في التناسب بين خاتمة سورة (الحجرات)، وفاتحة سورة (ق) أربع مناسبات:

الأولى: أن التناسب بين ختام السابقة مع بداية اللاحقة شكَّل وحدة موضوعية في التشابة بين مدعي الإيمان والكافرين، حيث اتفقا على إنكار نبوة النبي ﷺ، وإنكار البعث بعد الموت، وهو ما أشار إليه الإمام الغرناطي في التناسب.

الثانية: التكامل بين الختام والبدء في إظهار حال الناس أمام إنعام الله تعالى وإحسانه إليهم، فالذي منَّ عليهم بالإيمان هو الذي أنعم عليهم بوافر الأرزاق من السماء والأرض، ولكن أكثر الناس لا يعرفون معنى شكر المنعم سبحانه، وفي هذا الوجه إشارة للمؤمنين أن يتأدبوا تجاه النعم ولا يجحدوها.

---

[1] ينظر السامرائي، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، ص151-152.

[2] **المرجع السابق**.

الثالثة: دار التناسب فيها حول أنواع المكلفين (المسلم، ومن أسلم ولم يدخل الإيمان قلبه، والكافر) تجاه الأوامر والنواهي، وهذا الوجه قريب الشبه مع الوجه السابق.

الرابعة: أكدت قضية العلم الإلهي، فالذي يعلم غيب السماوات والأرض هو الذي يعلم ما تأكله الأرض من الأجساد بعد موت الناس؛ لأن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، فكانت آخر سورة الحجرات بمثابة التأصيل، وسورة ق بمثابة التأكيد على علم الله تعالى، وهذه الأوجه كلها بليغة ومحتملة.

وقد ظهر لي وجهان في المناسبة:

أولاً: لما ذكر الله ﷻ صفات المؤمنين في آخر سورة الحجرات بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:15]، مبينًا أن الشك في الإيمان أو قدرة الله ﷻ لا يتطرق إلى قلوبهم، فناسب أن يذكر في بداية سورة (ق) شك الكافرين في قدرة الله عز وجل، حيث قال مقالتهم ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾[ق:3].

ثانيًا: لما أخبر ربنا في خواتم سورة الحجرات عن نشأة الإنسان الأولى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[الحجرات:13]، ناسب أن يذكر في بداية سورة ق الموت والنشأة الآخرة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبعد إتمام هذا العمل المبارك الموسوم بـ **(التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة النور إلى سورة ق)** أوجز أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وهي على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

1. علم المناسبات ذو منزلة شريفة، وقدر جليل؛ لأنه سر البلاغة القرآنية، التي تحقق مطابقة المعاني لمقتضى الحال،. والتناسب بين خواتم ومفتتح السور يدل بما لا يدع مجالا للشك على الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وكأن السور تشبه حبات العقد التي تمسك كل واحدة منها بأختها. وهذا اللون من التناسب يؤكد مصدرية القرآن الكريم، وأنه من عند الله تعالى، ويرد على الزعم القائل بأنه من عند محمد ﷺ، حيث يظهر هذا جلياً في ختام سورة الفرقان مع بدايات سورة الشعراء، وخواتم سورة الشعراء مع مفتتح سورة النمل، كما أن عَجْز فصحاء العرب وبلغائهم عن الإتيان بمثل هذا التناغم بين ختام السور السابقة، وبداية السور اللاحقة يدحض هذه الفرية.
2. لقد نبه على أهمية هذا العلم كثيرٌ من المفسرين، من أبرز من اهتم بعلم المناسبات القرآنية من الأئمة القدامى: الإمام الرازي (ت:604هـ)، والإمام الغرناطي (ت:708هـ)، والإمام أبو حيان الأندلسي (ت:745هـ)، والإمام النيسابوري (850هـ)، والإمام البقاعي (ت:885هـ)، والإمام السيوطي (ت:911هـ)، والإمام الآلوسي (ت:1270هـ)، ومن أبرزهم من المحدثين: الإمام المراغي (ت:1371هـ)، والإمام الغماري (ت:1413هـ)،

والدكتور وهبة الزحيلي (ت:1436هـ)، والدكتور فاضل السامرائي، وفايز بن سياف السريح.

3. كثير من السور قد اتفقت في ختامها مع بدايات الأخرى في الحديث عن العقائد، لأن غالبيتها مكية تعنى بهذا الجانب، ومن الأمثلة على ذلك: التذكير ببقاء الآخرة وفناء الدنيا، التي وصفت باللهو واللعب، وكذلك ما حصل من التناسب بين ختام سورة المؤمنون ومفتتح سورة النور حيث تناولتا جانباً من توحيد الأسماء والصفات، فأظهرتا صفتي المغفرة والرحمة الإلهية ودلالتهما، وكذلك أكدت سورتي الفرقان والنور في الختام والبدء على تفرد الله تعالى وعظمته في الخلق والملك.

4. أوجه المناسبات بين ختام السور وبدايتها من سورة (النور) إلى سورة (ق) دارت حول جملة من القضايا المهمة، مثل: بيان الإعجاز القرآني، والتشابه بين ما حصل للأنبياء من أقوامهم في سبيل دعوة الحق، وتسلية النبي ﷺ في مقابل تعنت المشركين، ومن المناسبات المشتركة أيضاً التذكير بأهمية العلم؛ لأنه سبيل النجاة، إلى غير ذلك من الأمور التي تربط بين المختتم والمفتتح.

5. المتأمل لأوجه المناسبات بين مفتتح السور وخواتمها التي ذكرها الإمام الرازي وكثيرٌ من المفسرين، يجد أنهم كانوا يذكرون بعضها، ويتركون بعضها الآخر. مثل ما فعله الإمام السيوطي حين ترك مناسبات المفتتح والخواتم في سور (الحواميم)، وذكر تأخيها جميعا مع سورة الزمر.

والمتأمل أيضاً يجد الإمام الآلوسي يعزو غالب المناسبات التي اختارها للإمامين السيوطي وأبي حيان الأندلسي، وقلما يخرج عن هذا الإطار.

والعجيب أن الإمام ابن عاشور يرى أن التناسب بين السور ليس له أهمية تضاهي التناسب بين الآيات داخل السورة الواحدة، حيث قال: "أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقًّا على المفسر"[1]. وهذا مردودٌ عليه في تصانيف وتآليف قدامى المفسرين في التناسب بين المفتتح والخواتم. ومع دراسة أقوال المفسرين وجدت اتفاقاً بين القدامى والمُحْدَثين في اختيار المناسبات، حيث نقل المحدثون عن القدامى كثيراً من هذه المناسبات، مع إضافة بعض الاستنباطات الجديدة، ويبدو هذا واضحاً عند الإمام الغماري والدكتور الزحيلي والدكتور السامرائي وغيرهم.

6. بالبحث فيما خطه القدامى والمحدثون في التناسب بين خواتم السور ومفتتحها، لم أقف على منهج معين يعول عليه عندهم في استنباط وجه المناسبة، بل ربما أتت المناسبة القرآنية إلى ذهن المفسر –غالبًا– بعد تدبر المعاني على شاكلة الإشراقات الفكرية أو الروحية، وهذا يؤكد أن علم المناسبات لم يكن علماً منفصلاً في نشأته، وإنما رافق تفسير القرآن الكريم، وما لبث أن صار علماً مستقلاً بعد ذلك.

7. الآية الواحدة في الختام أو البدء قد تتعدد أوجه مناسباتها، من وجهة نظر المفسرين، وبهذا تعطي أكثر من معنى، لذا فهي تحتاج إلى دقة في الفهم لإظهار المقاصد السامية لكتاب الله تعالى.

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص8.

ثانياً: التوصيات:

لما كان مجال البحث في علم المناسبات لا يزال خصبًا، لا سيما بين المفتتح والخواتيم، فإني أوصي الجامعات الإسلامية، والمراكز البحثية بتبني منهجية علمية موسوعية، تتضمن إظهار الإعجاز القرآني من خلال دراسة:

1- التناسب بين العلاقات الصوتية بين فواتح وخواتم سور القرآن.

2- المقارنة بين جهود المفسرين في علم المناسبات قديماً وحديثاً.

3- شبهات المستشرقين حول الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، ونقدها من خلال المناسبات القرآنية.

والله أسأل أن أكون قد أسهمت مع من ساهم في خدمة كتاب الله عز وجل، وأن يتقبل مني هذا العمل وأن يجعله ذخرًا لي يوم أن ألقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا أدعي في عملي هذا الكمال، فالنقص من طبيعة البشر؛ لذا أعتذر عما كان فيه من الخطأ والزلل، وأتمثل قول الشاطبي – رحمه الله–:

وَإِنْ كَانَ خَرْقٌ فَجَمِّلْهُ بِفَضْلَةٍ مِنَ الْحِلْمِ وَلْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلا

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبراهيم حافظ سيد أحمد، **التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها دراسة مقارنة من سورة الذاريات إلى سورة المرسلات**، رسالة ماجستير بكلية الشريعة جامعة قطر، 2020م.

الأبرش، محمد علي، **التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها دراسة مقارنة في جزء عم**، رسالة ماجستير كلية الشريعة بجامعة قطر، 2020م.

أحمد بن حنبل: أبو عبد الله (ت:241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة، دار الحديث، ط 1)، 1416هـ - 1995 م.

الألباني، محمد ناصر الدين (ت:1420هـ)، **صحيح وضعيف سنن النسائي**، (الإسكندرية: إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة- برنامج منظومة التحقيقات الحديثية).

الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت:1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبدالباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه - صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق: مصطفى ديب البغا، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت:885هـ)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ-1987م).

البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت:885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).

البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، (ت:685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ).

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت:458هـ)، **شعب الإيمان**، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1 (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ- 2003م).

الترمذي، محمد بن عيسى (ت:279هـ) **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، وغيره، (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ، 1975م).

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: علي محمد، وعادل أحمد عبد الجواد، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ-1997م).

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ- 2002م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ).

حوّى، سعيد حوّى، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط6، 1424هـ).

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت:745هـ)، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، 1420هـ).

أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق(ت:275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، (دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ- 2009م).

دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط3، 1383هـ).

الدمشقي، عمر بن علي النعماني، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ -1998م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ- 1985م).

الرازي، محمد بن عمر، (ت:606هـ)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ).

الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ-1957م).

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق التنزيل**، (ت:538هـ)، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).

السامرائي، فاضل صالح، **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1437هـ- 2016م).

السريح، فايز سياف، **البينات في علم المناسبات**، (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1، 1442هـ، 2021م).

السريح، فايز سياف، **معالم السور**، (الدمام، 1439هـ).

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1386هـ)، **في ظلال القرآن**، (بيروت: دار الشرق، ط7، 1412هـ).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)، **تناسق الدرر في تناسب السور (أسرار ترتيب القرآن)**، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، (دار الفضيلة للنشر والتوزيع).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت: دار الفكر، 1993م).

الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية، 1285هـ).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت:1405هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (الدمام: الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ-2014م).

الشوربجي، تسنيم أبو بكر سعسد، **المناسبات في القرآن الكريم من تفسير الإمام السعدي في الجزء الثاني عشر من القرآن**، رسالة ماجستير من كلية الدراسات الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية، 1441هـ- 2019م.

الشوكاني، محمد بن علي (ت1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير**، (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1414هـ).

الطبري، محمد بن جرير ، (ت:310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422هـ -2001م).

الطحان، أسامة عبد الرحيم، **التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها من سورة الفاتحة إلى سورة المؤمنون**، رسالة ماجستير بكلية الشريعة جامعة قطر ، 2020م.

الطويل، أحمد بن أحمد بن محمد، **محتويات سور القرآن الكريم**، (الرياض: مدار الوطن للنشر ، ط1، 1434هـ -2013م).

ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد، (ت:1393هـ)، **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، (تونس: الدار التونسية للنشر ، 1984م).

ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي (ت:1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة، ط1، 1419هـ).

ابن العربي، أبوبكر محمد بن عبد الله، (ت:543هـ)، **أحكام القرآن**، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ-2003م).

ابن عطية، عبد الحق الأندلسي، (ت:542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتاب العلمية، ط1، 1422هـ).

العليمي، مجير الدين بن محمد المقدسي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1430هـ -2009م).

العمودي، ابتسام عمر، **المختارات من المناسبات بين السور والآيات**، (الرياض: مركز تدبر للدراسات والاستشارات، ط1، 1436هـ-2015م).

الغرناطي، أحمد بن الزبير الثقفي، (ت:708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: محمد شعباني، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1410هـ-1990م).

الغماري، عبد الله بن محمد الصديق (1413هـ)، **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، (القاهرة: مكتبة القاهرة- مطبعة محمد عاطف وسيد طه).

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهره: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1416هـ-1996م).

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب،(ت817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ، 2005م).

القاسمي، محمد جمال الدين الحلاق، (ت:1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ).

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، (ت:671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ-1964م).

ابن القطان، علي بن محمد الفاسي، (ت:628هـ)، **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، تحقيق: الحسين آيت سعيد، (الرياض: دار طيبة، ط1، 1418هـ-1997م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد**، (بيروت: دار الكتاب العربي).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت:774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420، 1999م).

الماوردي، علي بن محمد، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، (بيروت: دار الكتب العلمية).

المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ-1964م).

مسلم، الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى:261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

مصطفى مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، (جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1، 1431هـ-2010م).

النسائي، أحمد بن شعيب الخراساني، (ت:303هـ)، **المجتبى من السنن – السنن الصغرى للنسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1406 هـ – 1986م).

النيسابوري، الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ).

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1421هـ – 2001م).

الواحدي، أبو الحسن، علي بن محمد، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ– 1994م).